

حقائق عن الجماعات الدعوية العاملة في الصومال

شارك في الإعداد والمراجعة

الشيخ: محمد بن عبد الظاهر

والشيخ: عبد القادر بن شيخ محمد (عكاشة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذه حقائق عن الجماعات الدعوية العاملة في الصومال، تتعلق بتاريخها ومناهجها ومواقفها من الأحداث التي جرت في البلاد في العقود الثلاثة الأخيرة؛ لتكون الأجيال اللاحقة على بينة من ذلك؛ فإن كل جماعة تستدرّ عطف الناس بأساليب مختلفة:

منها: جانب شرعي، بدعوى أنها على الحق المبين الذي كان عليه السلف الصالح.

ومنها: جانب عاطفي، وهو إظهار أنها القائمة على خدمة الناس والدفاع عن الدين في وجه الصائين عليه.

ومن حق الناس أن يقفوا على الحقائق؛ حتى لا يُشاركوا فيما لم يُستشاروا فيه من أول الأمر مما ينتج عنه خراب البلاد والعباد ديناً ودنياً.

وسيكون للنقد مجال في هذه الرسالة؛ لأن الرد على المخالف من أصول الإسلام.

فيه: قيام بالقسط وبيان للحق، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١).

وفيه: أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وفيه: ذب عن السنة حتى لا يشوبها كدر البدعة، كما قال محمد بن يحيى الذهلي: سمعت يحيى بن يحيى يقول: (الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله)، قال محمد: قلت ليحيى: الرجل ينفق ماله ويتعب نفسه ويجاهد، فهذا أفضل منه؟! قال: (نعم، بكثير)^(٣).

(١) سورة النساء (١٣٥).

(٢) سورة آل عمران (١٠٤).

(٣) ذم الكلام للهروي (٤/٢٥٣-٢٥٤: ١٠٨٩، تحقيق: الأنصاري).

قال ابن تيمية: (والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هو أمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن منكرٍ، وهو من أفضل الأعمال الصالحة...) (١).

وقال: (ذكرُ الناس بما يكرهون هو في الأصل على وجهين:

أحدهما: ذكر النوع.

والثاني: ذكر الشخص المعين الحي أو الميت.

أما الأوّل: فكلُّ صنّفٍ ذمّه الله ورسوله يجب ذمّه، وليس ذلك من الغيبة، كما أنّ كلّ صنّفٍ مدحه الله ورسوله يجب مدحه، وما لعنه الله ورسوله لعن، كما أنّ مَنْ صَلَّى اللهُ عليه وملائكته يُصَلَّى عليه. فالله تعالى ذمّ الكافر، والفاجر، والفاسق، والظالم، والغاوي، والضالّ) (٢).

(فإذا كان المقصودُ الأمرَ بالخير والترغيب فيه، والنهي عن الشرّ والتحذير منه، فلا بدّ من ذكر ذلك، ولهذا كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم إذا بلغه أنّ أحداً فعل ما يُنهي عنه يقول: ((ما بال رجالٍ يشترطون شرطاً ليست في كتاب الله)) (٣)؟... (٤).

(وأعداء الدين نوعان: الكفار، والمنافقون. وقد أمر الله نبيّه بجهاد الطائفتين في قوله: ﴿جَاهِدِ

الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ في آيتين من القرآن (٥).

فإذا كان أقوامٌ منافقون يتدعون بدعاً تخالف الكتاب، ويلبسونها على الناس، ولم تبين للناس، فسد أمر الكتاب، وبُدّل الدين، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يُنكر على أهله.

(١) منهاج السنّة النبويّة (٥/٢٥٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٢٢٥).

(٣) جزءٌ من حديثٍ أخرجه البخاريُّ (كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر، ٩٨/١، ح ٤٥٦، ومواضع أخرى)، ومسلمٌ (كتاب العتق، باب «إنما الولاء لمن أعتق»)، ٢١٣/٤، ح ١٥٠٤، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٢٢٦-٢٢٧).

(٥) سورة التوبة (٧٣)، وسورة التحريم (٩).

وإذا كان أقوامٌ ليسوا منافقين، لكنهم سمّاعون للمنافقين، قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقاً، وهو مخالفٌ للكتاب، وصاروا دعاءً إلى بدع المنافقين، كما قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِئَكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لِكُلِّكُمْ بِيَعُونَكُمْ أَلْفَنَّةً﴾^(١)، فلا بدّ أيضاً من بيان حال هؤلاء، بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم؛ فإن فيهم إيماناً يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين، فلا بدّ من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافقٍ، لكن قالوها ظانين أنها هدى، وأنها خيرٌ، وأنها دينٌ، ولو لم تكن كذلك، لوجب بيان حالها.

ولهذا وجب بيان حال من يغلط في الحديث والرواية، ومن يغلط في الرأي والفتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة، وإن كان المخطئ المجتهد مغفوراً له خطؤه، وهو مأجورٌ على اجتهاده، في بيان القول والعمل الذي يدلُّ عليه الكتاب والسنة واجبٌ، وإن كان في ذلك مخالفةٌ لقوله وعمله. ومن علم منه الاجتهاد السائب، فلا يجوز أن يُذكر على وجه الذم والتأثير له؛ فإن الله غفر له خطأه، بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوى موالاته ومحبته، والقيام بما أوجب الله من حقوقه - من ثناءٍ ودعاءٍ وغير ذلك -، وإن علم منه النفاق، كما عرّف نفاق جماعةٍ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل عبد الله بن أبي ذؤيبه، وكما علم المسلمون نفاق سائر الرافضة - عبد الله بن سبأ، وأمثاله، مثل: عبد القدوس بن الحجاج، ومحمد بن سعيد المصلوب -، فهذا يُذكر بالنفاق.

وإن أعلن بالبدعة ولم يُعلم هل كان منافقاً أو مؤمناً مخطئاً ذكر بما يُعلم منه، فلا يحلُّ للرجل أن يَقْفُو ما ليس له به علمٌ، ولا يحلُّ له أن يتكلم في هذا الباب إلا قاصداً بذلك وجه الله تعالى وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله. فمن تكلم في ذلك بغير علمٍ أو بما يعلم خلافه، كان آثماً. وكذلك القاضي والشاهد والمفتي (...)^(٢).

(ثم القائل في ذلك بعلمٍ لا بدّ له من حسن النية، فلو تكلم بحقٍ لقصد العلوِّ في الأرض

(١) سورة التوبة (٤٧).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٢٣٢ - ٢٣٤).

أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حميةً ورياءً. وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله، من ورثة الأنبياء، خلفاء الرسل. وليس هذا الباب مخالفاً لقوله: ((الغيبة ذكرك أخاك بما يكره))^(١)، فإن الأخ هو المؤمن، والأخ المؤمن إن كان صادقاً في إيمانه لم يكره ما قلته من هذا الحق الذي يحبه الله ورسوله، وإن كان فيه شهادةً عليه وعلى ذويه، بل عليه أن يقوم بالقسط، ويكون شاهداً لله ولو على نفسه أو والديه أو أقربيه. ومتى كره هذا الحق كان ناقصاً في إيمانه، ينقص من أخوته بقدر ما نقص من إيمانه، فلم يعتبر كراهته من الجهة التي نقص منها إيمانه؛ إذ كراهته لما يحبه الله ورسوله^(٢) توجب تقديم محبة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾^(٣) إلخ^(٤).

وقال ابن رجب: (اعلم أن ذكر الإنسان بما يكره محرّمٌ إذا كان المقصود منه مجرد الذمّ والعيب والنقص، فأما إن كان فيه مصلحةٌ لعامة المسلمين، أو خاصّةً لبعضهم، وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة، فليس بمحرّمٍ، بل هو مندوبٌ إليه.

وقد قرّر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل، وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة، وردّوا على من سوّى بينهما من المتعبّدين وغيرهم ممن لا يتسع علمه.

ولا فرق بين الطعن في رواية ألفاظ الحديث والتمييز بين من تُقبَل روايته منهم ومن لا تُقبَل، وبين تبين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأوّل شيئاً منها على غير تأويله، وتمسك بما لا يتمسك به، ليحذّر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضاً. ولهذا تجد كتبهم المصنّفة في أنواع العلوم الشرعيّة من التفسير وشرح الحديث والفقه واختلاف العلماء وغير

(١) أخرجه مسلمٌ (كتاب البرّ والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ٢١/٨، ح ٢٥٨٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: ((لما لا يحبه الله))، والنفي هنا لا يستقيم به المعنى، والتصحيح من مجموعة الرسائل والمسائل (١١٠/٥).

(٣) سورة التوبة (٦٢).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٢٣٥ - ٢٣٦).

ذلك ممتلئة من المناظرات، وردُّوا أقوال مَنْ تُضَعَّفُ أقواله من أئمة السلف والخلف، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم ينكروا ذلك أحدٌ من أهل العلم، ولا ادَّعى فيه طعناً على مَنْ ردَّ عليه قوله، ولا ذمّاً ولا نقصاً، اللهم إلا أن يكون المصنّف يُفحش في كلامه، ويسيء الأدب في العبارة فيُنكّر عليه فحاشته وإساءته دون أصل رده، ومخالفته^(١) إقامة الحجج الشرعية والأدلة المعتمدة.

وسبب ذلك: أن علماء الدين كلهم مجمعون على قصد إظهار الحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلّم، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمته هي العليا.

وكلهم معترفون بأن الإحاطة بالعلم كله - من غير شذوذٍ شيءٍ منه - ليس هو مرتبة أحدٍ منهم، ولا ادَّعاه أحدٌ من المتقدمين ولا من المتأخرين، فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم، وإن كان صغيراً، ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم).

ثم قال: (فردُّ المقالات الضعيفة وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ليس مما يكره العلماء، بل يجبُّونه ويمدحون فاعله، ويشنون عليه، فلا يكون داخلاً في باب الغيبة بالكليّة، فلو فرض أن أحداً يكره إظهار خطئه المخالف للحق فلا عبرة بكرهته لذلك؛ فإن كراهته إظهار الحق إذا كان مخالفاً لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة، بل الواجب على المسلم أن يجبّ ظهور الحق ومعرفة المسلمين به، سواء كان ذلك في موافقته أو مخالفته. وهذا من النصيحة لله ولكتابه ورسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك هو الدين، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلّم^(٢)).

وفي هذا الكلام فوائد، منها:

أولاً: بيان أن ردّ المخالفات الشرعية وذكر المخالفين للشرع بما فيهم ليس من الغيبة في شيء،

(١) معطوفٌ على قوله: (فحاشته).

(٢) يشير إلى حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: ((الدين النصيحة))، قلنا: لمن؟ قال: ((الله، وكتابه، ورسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)). أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ١/٥٣، ح ٥٥).

(٣) الفرق بين النصيحة والتعيير (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ٢/٤٠٣-٤٠٦).

وإنما شرطها العلم والإخلاص.

ثانياً: دفع توهمات بعض الناس ممن يقول في كل نقاشٍ أو ردٍّ: العلماء يتكلم بعضهم في بعض. كأنه يريد من العلماء أن يكونوا على طريقة السياسيّين المبنيّة على المداهنة ورعاية الخواطر، أو على طريقة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١)، وبنوا على ذلك أن أيّ مخالفةٍ مهما كان حجمها - إن كان لا مناص من ردّها - فلا بدّ أن يكون الردُّ خفيفاً مهذباً غاية التهذيب، فنتج عن ذلك استفحال الشرِّ وضياع الناس، واختلاط الحقِّ بالباطل.

والجماعات الدعويّة التي سنتحدّث عنها في هذه الرسالة هي:

أولاً: جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة (الاتحاد الإسلاميّ - سابقاً -).

ثانياً: جماعة «الإخوان المسلمون»، ويمثّلها في الصومال جماعتان:

- الأولى: جماعة التجمّع الإسلاميّ (المعروفة ب: آل الشيخ).

- الثانية: جماعة الإصلاح.

ثالثاً: حركة الشباب المجاهدين (المنضوية تحت تنظيم القاعدة).

وسوف نتحدّث في وقتٍ لاحقٍ إن شاء الله عن جماعاتٍ أخرى، كجماعة التبليغ وغيرها.

هذا، ونسأل الله التوفيق والسداد.

(١) سورة الحشر (١٤). ويفهم من الآية أن الظهور بمظهر الوحدة والاجتماع مع التشتت والتفرّق في العقائد والمناهج بدون تقويم ولا إنكارٍ علنيٍّ من أخلاق المغضوب عليهم (اليهود)، وأن ذلك يُنبئ عن عدم العقل الصحيح؛ لأنهم لو كانوا يعقلون ما تظاهروا بذلك مع تشتت قلوبهم.

أولاً: جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة (الاتحاد الإسلامي - سابقاً -)

مرّت هذه الجماعة بمراحل عديدة في مدّة تربو على أربعين عاماً^(١).

المرحلة الأولى: كانت هناك جماعة تُسمّى بـ (الأهل)، وكانت أشعريّة صوفيّة إخوانيّة.

ثم اعتنق قادتها وكثير من قاعدتها فكر التكفير (التوقف والتبين) المستورد من مصر.

المرحلة الثانية: الذين رفضوا فكر التكفير الغالي عملوا تنظيمًا جديدًا في جنوب الصومال سمّوه

(الجماعة الإسلاميّة)، عام (١٩٧٩م). وكان منهجها خليطاً من المنهج السلفي والفكر الإخواني.

ثم طرأ تحسّن في فكر الجماعة عام (١٩٨١م)، واقتربوا من الدعوة السلفيّة.

وسبب ذلك: أنّ المناقشات التي دارت بينهم وبين جماعة التكفير ألجأتهم إلى الرجوع لكتب

شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم وعلماء الدعوة النجدية للاستفادة منها في الردّ على جماعة التكفير.

وزادهم بصيرة في تصحيح بعض الجوانب العقديّة - وبخاصّة فيما يتعلّق بتوحيد الأسماء

والصفات وتوحيد العبادة - بعض المنتمين إليهم من طلاب الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النبويّة، مع

بقاء تكفير الحكام المسلمين - عند كثير منهم -، والتطلّع للحكم، والتنظيم الهرمي، وهذا ما قادهم

إلى الفتن - التي سيأتي ذكرها -.

وبقيت الجماعة تشبه في بعض النواحي الاتجاه الذي أسسه محمد بن سرور زين العابدين،

والذي انتشر في الخليج وغيره من بلاد العالم الإسلامي، كالجائر والصومال.

وشعار هذا الاتجاه: (سلفيّة العقيدة، عصريّة المواجهة)^(٢).

وفي هذا الشعار إشارة إلى أنّ الدعوة السلفيّة ناقصة وتحتاج إلى أن تستورد من غيرها ما يتعلّق

بالمواجهة. وما لم يُهدّ إليه السلف فلن يكون إلا باطلاً.

(١) وجاء في منهج الجماعة - كما سيأتي - أنها امتدادٌ للصحة الإسلاميّة في الصومال التي ينيف عمرها على نصف قرن من الزمان.

(٢) وهذا مما ينادي به الدكتور: صلاح الصاوي - في كتابه (الثواب والمتغيّرات، ص ٣١٨) -، وغيره ممن أراد مزج السلفيّة بالإخوانيّة.

وانفصل عن الجماعة في تلك المرحلة مجموعةً من محبّي الشيخ محمّد معلّم حسن (المفسّر المشهور في الصومال) بحجّة أنّ الجماعة الإسلاميّة تحوّلت إلى المنهج الوهابيّ، وكان من الذين انفصلوا: علي عثمان نور (المشهور ب: علي جرافاتي)، وعلي أحمد حلني، وسيدّ أبّا علي، ومحمّد عبد القادر ورسمة، ومحمّد شيخ علي عسبلي، وحسن عبد الرحمن حيلي، وغيرهم.

ولم يكن يوسف علي عيني من الجماعة الإسلاميّة، وإنما استقال من جماعة الإصلاح ذاك الوقت، ثم صار قياديّاً في هذه المجموعة المنفصلة.

المرحلة الثالثة: جاءت مبادرة من جماعة الدكتور حسن الترابيّ لتوحيد الجماعات الإسلاميّة في الصومال: كالإصلاح، والجماعة الإسلاميّة، وجماعة التكفير - في الجنوب -، ووحدة الشباب الإسلاميّ - في الشمال -. وكان يرأس جماعة الإصلاح (محمّد أحمد جريري)، ويرأس الجماعة الإسلاميّة (محمود عيسى)، ويرأس جماعة التكفير (عبد القادر شيخ محمود)، ويرأس وحدة الشباب (علي ورسمة).

وكان المقصود من مبادرة جماعة الترابيّ أن تصطلح الحركة الجديدة مع الحكومة، كما فعلت حركة الترابيّ في السودان، فلم يتيسّر ذلك؛ لرفض جماعتي الإصلاح والتكفير.

فرأى قادة (الجماعة الإسلاميّة) تجاوز وساطة جماعة الترابيّ والسعي لدمج حركتهم في الجنوب مع حركة (وحدة الشباب الإسلاميّ) في شمال الصومال، ونجحت الجماعتان في الاندماج في كيانٍ واحدٍ تبنّى منهجاً خليطاً من السلفيّة والإخوانيّة.

وتسمّوا في هذه المرحلة بـ (الاتّحاد الإسلاميّ في الصومال)، وكان ذلك عام (١٩٨٣م).

وبُعِيدَ إبرام هذا الاندماج انفصل عن الجماعة الجديدة عددٌ ممن كان في قيادة (وحدة الشباب الإسلاميّ) متأثرين بالشيخ محمّد معلّم حسن، وبقوا على منهجهم الإخوانيّ تحت مظلة (وحدة الشباب الإسلاميّ)؛ ومنهم: حسن عبد السلام، وإسماعيل طنّغ، وعبد القادر حاج جامع.

ومن الكتب التي كانت تدرّس في مرحلة الاندماج: (معالم في الطريق) لسيدّ قطب، و (جاهليّة القرن العشرين) و (واقعنا المعاصر) كلاهما لأخيه محمّد قطب، وغير ذلك من كتب الإخوان:

ككتب سعيد حوى، وفتحي يكن^(١).

وكانت لهم بيعة، وإمارة، ومكتبٌ للدعوة، ومكتبٌ للجهاد، ومكاتب أخرى.

وقرّر مجلس شورى الحركة أن الحرب الدامية التي نشبت بين الحركة الوطنية الصومالية وقوات الحكومة في شمال الصومال (عام ١٩٨٨م): قتالٌ فتنةٌ يجب الابتعاد عنه.

ثمّ سمحت الحكومة بتعدد الأحزاب في أواخر عهدها، فبادرت الجماعة إلى الإعلان الرسمي عن الحركة (عام ١٩٨٩م)، وقرروا المشاركة في الانتخابات الديمقراطية، ولم تحصل انتخابات في البلد، ثم بعد سنةٍ قرّر مجلس الشورى العام للحركة أن الحلّ الوحيد لقضية الصومال هو الجهاد المسلح.

وبعد سقوط الحكومة المركزية انقسمت الحركة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: اتّجاه دمويّ يدّعي الجهاد.

الثاني: فرقةٌ تريد الوصول إلى السلطة بالطرق الديمقراطية السلمية.

الثالث: النزاعون إلى الدعوة السلفية الخالصة.

وتغلّب الاتّجاه الدمويّ القتاليّ على القسمين الآخرين، فتسبّبوا في خوض مجموعاتٍ كبيرةٍ من جماعة الأتحاد حروباً شرسةً ضدّ جيّهاتٍ قبليةٍ بدعوى تطبيق الشريعة، مات من جرّائها آلافٌ من جماعتهم ومن القبائل المسلمة التي قاتلوها، مما أدّى إلى تفهقر الدعوة وتشويه سمعتها. فلما ألحقت بهم الهزائم المتتالية قرّروا الانسحاب من المعسكرات، مع حدوث انشاقات داخلية في صفوفهم.

ومن طامّاتهم: اعتقاد بعضهم أنّ على الدعاة جميعاً - زعموا - الهجرة إلى المعسكرات،

(١) والجدير بالذكر هنا: أن الجماعة الإسلامية - قبل الاندماج - مع ما كان فيها من التشبّث بالحزبية والتطلّع للحكم إلا أنهم أجمعوا على استبعاد جميع الكتب الإخوانية وتدرّيس الكتب العلمية السلفية، وأجمعوا أيضاً على الرجوع إلى العلماء الربانيين - مثل: الشيخ الألباني، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين وغيرهم -، وهذا الاتّجاه كان كفيلاً بأن ينقذهم من الانحرافات الحزبية وحبّ السلطة، لولا تدخّل حسن الترابيّ والمؤسّسات الإخوانية التي قادتهم إلى تكوين الأتحاد الإسلاميّ.

فاستجاب كثيرٌ من السُّدج من النساء والشباب إلى هذا النداء، فأتَّجهوا إلى (وادي سليد) الذي تحصَّن به مسلَّحو تنظيم جماعة الأتِّحاد في شمال شرق الصومال، وأفتى بعض قادتهم بجواز نكاح مَنْ سُمِّين بالمهاجرات بولاية قائد الحرب دون حاجةٍ إلى إذن أهلهن. ثم بعد انفضاض المعسكر اختفى كثيرٌ من أزواج هؤلاء النسوة عن الأنظار، تاركين المسكينات يواجهن مصيرهنَّ وحدهنَّ، فاضطَّرت النساء إلى الرجوع إلى أهاليهنَّ مثقلاتٍ بآلام الحمل مهموماتٍ بالشقاء المتوقَّع مع الرحلة الطويلة التي تنتظرهنَّ للتعامل مع ثمار فتاوى أهل الجهل والطيش.

ومع كلِّ ما سلف كان ينصحهم محبُّو الدعوة السلفيَّة، فلما لم يقبلوا النصيحة انسحبت منهم مجموعاتٌ كبيرةٌ رأت أن الاستمرار معهم مضرٌّ بالدعوة، وكان ذلك سنة (١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م). ومما يجدر ذكره هنا أن الدكتور حسناً الترابيَّ حاول عام (١٩٩٢ م) مرَّةً أخرى أن يوحد الجماعات الإسلاميَّة في الصومال، كالاتِّحاد والإصلاح والإخوان (آل الشيخ)، وجماعةٍ من المستقلِّين، فدعاهم إلى الخرطوم، وأصدروا بياناً مضمونه الموافقة على الفكرة، لكن لم يظهر للساحة شيءٌ.

المرحلة الرابعة: في أواخر المرحلة السابقة اندمج منشقُّون عن جماعة الأتِّحاد مع جماعة وحدة الشباب الإسلاميِّ، فكوَّنوا ما عُرف بـ (التجمُّع الإسلاميِّ للإنقاذ).

المرحلة الخامسة: حصل اندماجٌ جديدٌ بين مجموعتين: (الاتِّحاد الإسلاميِّ)، و (التجمُّع الإسلاميِّ للإنقاذ)، وذلك في مؤتمرٍ عُقد في مدينة (لاسعانود).

وفي هذه المرحلة جاء الاسم الجديد، وهو: (الاعتصام بالكتاب والسنة) سنة (١٩٩٦ م)، علماً بأن الاسمين القديمين لم يُحظَّرا في تلك الفترة، وإنما تخلَّوا عن اسم (الاتِّحاد) بالكلِّيَّة لما أدرجته بعض الجهات في قائمة الإرهاب.

وذكروا في الوثيقة التي أصدروها في تاريخ (١٢/ صفر/ ١٤١٧ هـ) بمناسبة اتِّخاذ الاسم الجديد للحركة: أنهم اتَّفقوا على إنشاء مجلسٍ عامٍّ للحركة، من مهامه وصلاحيَّاته: (إعلان الجهاد)، ووضعوا في الهيكل التنفيذيِّ إدارةً خاصَّةً بالأمن والجهاد، كما ذكروا في التوصيات: (الاهتمام بجانب الأمن والاستعداد).

وعُرف من خطبهم ومحاضراتهم ومناظراتهم أن المقصود بالجهاد عندهم قتال طوائف الشعب المسلم التي يعتبرونها ممتنعة عن شرائع الإسلام، كما أن جهاد الكفار لا يُشترط له عندهم لا إمامٌ مبايعٌ ممكّنٌ ولا تمايز صفوفٍ ولا توافر القدرة، بل يعدُّون ذلك من ابتداع مخالفيهم للتشبيط عن الجهاد.

واشتهروا بالدفاع المستميت عن الدعوات الحزبيَّة، والتركيز على طلب الحكم الذي يسمُّونه (إعادة الخلافة الإسلاميَّة على منهاج النبوة)، وجعلوا ذلك ضمن غايتهم وهدفهم من إنشاء الجماعة، كما هو مسطرٌ في وثيقتهم الآنفة الذكر.

وذكروا في التوصيات: (التركيز على ضبط الاتجاه الإسلامي، والسمع والطاعة في المعروف)، وعندهم عهدٌ على السمع والطاعة لأمر الجماعة.

وإذ انتهينا من ذكر هذه المراحل، فيحسن التنبيه إلى أن الجماعة طبقت نظريَّتها الجهاديَّة في أربعة حروبٍ خاضتها: ثلاثٌ منها خاضتها مجموعاتٌ كبيرةٌ - منهم قادةٌ وقاعدةٌ - ضدَّ قبائل صوماليَّة مسلمةٍ بحججٍ مختلفةٍ، ورابعةٌ في إقليم الصومال الغربيِّ الذي تحتله إثيوبيا.

وأعنف تلك الحروب الثلاثة هي حرب شمال شرق البلاد^(١)، وكانت بموافقة أمير الجماعة في تلك الفترة (علي ورسمه حسن)، وقادها ميدانيًّا نائب رئيس الأتحاد في ذلك الوقت: (حسن طاهر أويس)، وكان برتبة رائدٍ في الجيش الصوماليِّ السابق، وكان من شيوخهم البارزين الناطقين باسم الحزب والمجادلين عنه، وقد قال بعد انتهاء تلك الحرب بستتين: (إن دماء الصوماليين ليست معصومةً، وإن النساء يحقُّ جهادهنَّ - حسب زعمه - لمجرَّد تركهنَّ الحجاب)، كما هو مسجَّل في شريطٍ له، وقد كان المجلس الذي قال فيه هذا الكلام غاصًّا بعددٍ من قيادات الجماعة فلم يردَّ عليه أحدٌ منهم لا في ذلك المجلس ولا بعده.

(١) وقد تحدَّث عنها بالتفصيل حسن طاهر أويس في مذكراته المعنونة بـ (أمير المجاهدين...) (ص ٤٣ وما بعدها)، وذكر: أن قادة الجماعة اجتمعوا في مؤتمرٍ، وتوصَّلوا فيه إلى قرارٍ مفاده: توسيع نفوذ الجماعة، وبسط سيطرتها على البلاد. وأنه قال لرئيس الجماعة حينئذٍ (علي ورسمه): قراركم هذا يعني الحرب، فمن يتحمَّل مسؤوليَّته؟ فقال الشيخ علي ورسمه: أنا المسؤول عنه.

بل لما استمع أحد الإخوة السلفيين إلى الشريط الذي فيه هذا الكلام قال لرئيس الأتحاد في ذلك الوقت (محمود عيسى): ألم تجدوا شخصاً معتدلاً يمثلكم بدل هذا؟ فقال له - بالنص - : (نحن نعتبره معتدلاً).

وشاركت مجموعاتٌ متنفذةٌ منهم في تأسيس حركة المحاكم الإسلامية التي استولت على أجزاءٍ واسعةٍ من جنوب الصومال بما فيها العاصمة، وعملوا مع أصحاب فكر التكفير الغالي والتفجير في إطار المحاكم.

وفي سنة (٢٠١٠م) عقدوا اجتماعاً في (جروي) ادَّعوا أنهم تخلَّوا فيه عن مبدأي الخروج على الأئمة والقتال في الفتن. وبلغنا أن بعض من حضر تلك الجلسة قال لهم: لماذا لا تتركون التحزب، لأنه تبين بالتجربة أنه ليس ضرورياً لنشر الدعوة؛ فإننا رأينا إخواناً لنا لهم دعوةً نشطةً دون تنظيمٍ حزبيٍّ، فرفضوا هذا النصح.

ويلاحظ عليهم في هذه المرحلة الجديدة:

أولاً: التمسك بمبدأ الانتماء إلى جماعةٍ هدفها إقامة المجتمع المسلم - في زعمهم -، مع التطلع للوصول إلى السلطة عند التمكُّن من ذلك.

ثانياً: دعوة الناس للانضمام إلى حزبهم الضيق ذي التنظيم الهرمي والامير الذي يأخذ على أتباعه عهداً بالطاعة، ومجلس الشورى الذي كان عهدنا به أن من حقه بأغلبية ثلثي الأعضاء اتِّخاذ القرارات المصيرية، مثل إعلان الحرب.

ثالثاً: تطبيقهم العملي لقاعدة المعذرة والتعاون (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)^(١).

(١) ينبغي الرجوع إلى كتاب: (زجر المتهاون بضرر قاعدة المعذرة والتعاون)، للدكتور: حمد بن إبراهيم العثمان، وقد راجعه الشيخ: صالح الفوزان، وقرَّظه الشيخ: عبد المحسن العباد. قال المؤلف في مقدمته: (في صفوف بعض الجماعات الدعوية قاعدة: «يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، ونتعاون فيما اتفقنا عليه»، وصاحب هذه القاعدة قد قبض - رحمة الله تعالى عليه، وغفر له ولجميع المسلمين -، ولو كان حياً لرجعنا إليه فيها؛ حتى نتحقَّق من مراده، ونبيِّن له لوازم قاعدته، لكننا رأينا عمل أتباعه بهذه =

فالجماعة كانت ولا تزال تضمُّ أناساً مختلفين في مواقفهم، كاختلافهم في الموقف من الحكومة المركزيّة في عهد شريف شيخ أحمد؛ فمنهم مَنْ كَفَّرَها واستحلَّ قتلها، ومنهم مَنْ تولى الوزارة فيها. وهذا التناقض جائزٌ عند الحزبيين، ولا يُستبعد أن يكون من قبيل تبادل الأدوار الذي أشار إليه الدكتور: صلاح الصاوي^(١).

رابعاً: لم يظهر منهم رجوعٌ صحيحٌ عن مسألتي الخروج على الأئمة والقتال في الفتن، مع دعواهم التخلي عن ذلك - كما سبق -؛ إذ لا يزال أغلب قادتهم وكثيرٌ من أعضاء الجماعة على ما كانوا عليه سابقاً من إطلاق التكفير العام على الحكام المسلمين في دروسهم وخطبهم، والتهيج المستمر ضدّهم، ولا ينضبون بضوابط التكفير بموالاتة الكفار عند أهل السنّة.

فحين شاهدوا الواقع الأليم والشار المرّة مما جنت أيديهم وكثرت ردود أهل السنّة عليهم، قالوا: يلوموننا على أمور عفا عليها الزمن، وحكمت عليها الجماعة بالخطأ، ولكن بعد أخذٍ وردٍّ اتّضح للجميع أنّ مرادهم بالخطأ هو خطأ تكتيكي لا شرعيّ.

فمرّة يجربون السلاح، فإذا لم يكن الوقت موافقاً استحالوا إلى حزبٍ سياسيٍّ يخوض الانتخابات على النمط الديمقراطي الذي كانوا يكفّرون به بالأمس - لأنه حكم الشعب للشعب، فما حرّمه البرلمان فهو الحرام وما حلّله فهو الحلال -، لكنهم اليوم يدّعون أنّ المشاركة السياسيّة فيها نصرّة للإسلام. ولو صدقوا لقالوا: فحيثما كانت مصلحة الحزب فثمّ الشريعة، فقد تاهوا بين سين السلاح سابقاً وبين سين السياسة حالياً.

= القاعدة، فظهر لنا مرادهم منها. فهم لم يخصّوها بأهل السنّة في المسائل الاجتهاديّة غير المنصوصة؛ بل وسّعوا هذه القاعدة حتى وسعت أضلّ الفرق، كالرافضة. والله يعلم كم كانت هذه القاعدة سبباً لتبرير البدع، وحشر مقولات أهلها مع مقولات أهل السنّة.

(١) حيث قال في كتابه الثوابت والمتغيّرات (ص ٢٦٥): (ولا يبعد القول بأنّ مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقوم فريقٌ من رجاله ببعض هذه الأعمال الجهاديّة، ويظهر النكير عليها آخرون، ولا يبعد تحقيق ذلك عملياً إذا بلغ العمل الإسلامي مرحلة من الرشد، أمكنه معه أن يتفق على الترخّص في شيء من ذلك، ترجيحاً لمصلحة استمرار رسالة الإسلاميين في هذه المجالس بغير تشويشٍ ولا إثارة).

ولا يجوز لجماعة أن تتكفل دون بقية المسلمين وتسعى للوصول إلى الحكم؛ فإن في ذلك تفرقاً لجماعة المسلمين، واستبداداً بشؤونهم، وهذا مما لا تقره الشريعة، بل الواجب أن تكون جماعة المسلمين واحدة، وأن تبني أمور المسلمين العامة على الشورى وعدم الانفراد. ونصوص الكتاب والسنة متضافرة على الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق.

منها: قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولأه الله أمركم. ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال))^(٢).

ومما يدل على أنه ليس لجماعة أن تنفرد عن أهل الحل والعقد في شأن الحكم: ما أخرجه البخاري عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال لابن عباس بمنى: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فغضب عمر، ثم قال: (إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحدّثهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم). ثم أجل خطبته إلى وقت وصوله إلى المدينة، فكان من خطبته: (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا)^(٣).

ثم إن السنة نفرت عن طلب الإمارة، فعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإن أُعطيها عن مسألة وُكِلت إليها، وإن أُعطيها عن غير مسألة أُعنت عليها))^(٤).

(١) سورة آل عمران (١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة...، ١٣٠/٥، ح ١٧١٥)، وأحمد - واللفظ له - (٣٩٩/١٤، ح ٨٧٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: خوفاً أن يقتلا. النهاية لابن الأثير (٢/٤٥٨ و ٧/٣٠٠٣، تحقيق: أحمد الخراط).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، باب رجم الحبل من الزنا إذا أحصنت، ٨/١٦٨-١٦٩، ح ٦٨٣٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله، ٩/٦٣، ح ٧١٤٦)، ومسلم (كتاب =

وعن أبي موسى الأشعري قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: ((إننا لا نُؤيِّ هذا مَنْ سألَهُ ولا مَنْ حرص عليه))^(١).

ومما يؤيد بقاءهم على ما كانوا عليه عدّة أمور:

الأمر الأوّل: افتخارهم بما يُسمّى (الصحة الإسلامية)^(٢)، ووصفهم للجماعة بأنها امتدادٌ طبيعيٌّ وورثٌ حقيقيٌّ لها. ففي منهج الجماعة - ما نصّه -: (إن جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة - الصومال - هي الامتداد الطبيعي والورث الحقيقي للصحة الإسلامية في الصومال التي ينيف عمرها على نصف قرن من الزمان).

وقد سبق أن تلك الصحة إنما هي حركاتٌ حزبيّةٌ تقلّبت عقيدتها من الصوفيّة والأشعريّة إلى التكفير الغالي قبل أن تتأثر بالسلفيّة، فإذا كان هذا ميراثهم فبئس ما ورثوا. ومن المؤسف أنهم لم يقولوا: ورثنا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، ولا

= الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، ٦/٥، ح ١٦٥٢، عقب ح ١٨٢٣.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، ٩/٦٤، ح ٧١٤٩)، ومسلم (الموضع السابق، ٦/٦، ح ١٧٣٣، عقب ح ١٨٢٣).

(٢) قال الشيخ بكر أبو زيد: (هذا وصفٌ لم يعلّق الله عليه حكماً، فهو اصطلاحٌ حادثٌ، ولا نعرفه في لسان السلف جارياً، وجرى استعماله في فواتح القرن الخامس عشر الهجري في أعقاب عودة الكفار كالنصارى إلى الكنيسة، ثم تدرّج إلى المسلمين. ولا يسوغ للمسلمين استجرار لباسٍ أجنبيٍّ عنهم في الدين، ولا إيجاد شعارٍ لم يأذن الله به ولا رسوله؛ إذ الألقاب الشرعية توقيفية: الإسلام، الإيمان، الإحسان، التقوى، فالمتسبب: مسلمٌ، مؤمنٌ، محسنٌ، تقيٌّ... فليت شعري، ما هي النسبة إلى هذا المستحدث (الصحة الإسلامية): صاحٍ، أم ماذا؟ ثم إنه يعني أن الإسلام كان في غفوةٍ، وحال عزلٍ في المسجد - كالديانة النصرانية كانت في الكنيسة فحسب - ثم أخذ في التمدد والانتشار، ففي هذا بخصوص الإسلام إغفالٌ للواقع، ومغالطةٌ للحقيقة، وإيجادٌ جوّ كبيرٍ للتخوف من المتديّنين والرعب منهم حتى تتمّ مقاومتهم. وفي مصطلحات الصوفيّة كما في رسالة ابن عربي (مصطلحات الصوفيّة): "الصحة: رجوعٌ إلى الإحسان بعد الغيبة بوارِدٍ قويٍّ". معجم المناهي اللفظية (ص ٣٣٥-٣٣٦).

أئمة السنّة والعلم من السلف الصالح أو من المتأخرين الذين جدّدوا الدين الحنيف، بل لم يقولوا: ورثنا كبار أئمة السنّة في العصر الحاضر الذين بعثهم الله لتجديد هذا الدين في القرن الرابع عشر، وما ينتسبون إليه ويفتخرون به عُويّرٌ وكُسيرٌ - وكلُّ غيرٍ خيرٍ - .

ثم إن فرض أن عمر صحوتهم في الصومال ينيف على نصف قرنٍ من الزمان؛ فإن امتدادَ عمر دعوةٍ إلى نصف قرنٍ أو قرنٍ أو قرونٍ من الزمان لا يدلُّ على كونها صواباً وحقاً؛ وذلك لكثرة الفرق الضالّة التي مضى على نشأتها مئات السنين ولا تزال باقيةً، ولأن الباطل لا يثبت بتقادم الزمان، كما أن (الحق لا يسقط بتقادم الزمان)^(١).

والافتخار بالشيء منافٍ للتوبة منه؛ فإن للتوبة شروطاً، (أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبداً. فإن فُقد أحد الثلاثة لم تصح توبته)^(٢).

الأمر الثاني: موقفهم من الحركات الحزبيّة الأخرى لم يتغيّر؛ فلا نرى منهم الإنكار عليهم

أو البراءة منهم، بل يظهرون المحبّة لهم وينسّقون معهم.

وفي منهج الجماعة - ما نصّه -: (ونرى الجماعات الإسلاميّة التي تنتهج مجمل اعتقاد أهل السنّة والجماعة لا تُدّمُ جملةً ولا تُمدحُ جملةً، بل تُدّمُ وتُنصَحُ بما فيها من الأخطاء والبدع، وتُمدحُ بما فيها من الخير والخيرة على الدين والدعوة إليه وعداوة الكفّار. ويكون قربنا وبعدها منهم بحسب قربهم وبعدهم من هذا المنهج. ونعتقد أن دائرة الإسلام تجمعنا).

وهذا الكلام قد لا يبدو واضحاً لبعض الناس فيظنُّ أن كثيراً من الفرق الضالّة لا تدخل -

عندهم - في الجماعات الإسلاميّة التي تنتهج مجمل اعتقاد أهل السنّة. والحقيقة أن المراد بذلك جميع ما يسمّى (تجمّعات العمل الإسلاميّ) عدا الجماعات الغالية في التكفير^(٣).

(١) انظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص ٢٦٣، ط: الفكر).

(٢) رياض الصالحين (ص ٣٧-٣٨).

(٣) كما قال الدكتور: صلاح الصاوي: (ولا يصدق على تجمّعات العمل الإسلاميّ المعاصر وصف الفرق؛ لالتزامها المجمل بمنهج أهل السنّة والجماعة وبراءتها المجملّة مما يخالفه، وإن تلبسوا ببعض البدع والمخالفات =

الأمر الثالث: أنه قد استطال عليهم الإخوان المسلمون، ووصموهم بأنهم استخدموا السلاح في وجه الشعب وارتكبوا ذنوباً لا تغسلها البحار، حسب قول محمد أحمد جريري - مؤسس حركة الإصلاح التي تمثل تنظيم الإخوان الدولي في الصومال - في مقابلة أجرتها معه إذاعة صوت أمريكا باللغة الصومالية، في موسم حج (١٤٣٣هـ)، استمع إليها أعدادٌ لا تُحصى من الصوماليين، وطالبهم بالتوبة، ولم يجيبوا عن ذلك إلى يومنا هذا. وكان يناديهم ويسمّيهم بالسلفيين، مع أنه يلزم الصادق في انتسابه إلى مذهب السلف أن يذّب عن مذهب السلف ما يشوّه سمعته لدى المجتمع، ويعترف بأن القتال كان ضلالاً تاب إلى الله منه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، فاشترط الإصلاح والبيان لتدارك ما أمكن تداركه مما فسد.

قال ابن قيم الجوزية: (ولهذا كان من توبة الداعي إلى البدعة أن يبيّن أن ما كان يدعو إليه بدعةً وضلالةً، وأن الهدى في ضده، كما شرط تعالى في توبة أهل الكتاب الذين كان ذنبهم كتمان ما أنزل الله من البيّنات والهدى ليضلّوا الناس بذلك: أن يُصلحوا العمل في نفوسهم، ويبيّنوا للناس ما كانوا

= الجزئية، اللهم إلا الدعاة إلى التكفير بأصول بدعية، وهم قلة لفظتها مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، وإن كانت لا تقطع ولاء الإسلام عنها خاصّة في أوقات المحن).

وقال: (فإذا استطاعت فصائل العمل الإسلامي أن تبقى على تناصح وتآلف وتعاضد، وأن تعقد ولاءها وبراءها على أساس الإسلام لا غير، وأن تستأصل جرثومة التعصّب المذموم الذي جرّ عليها ما جرّ من الفتن والتهارج، وألا تفرّق بين المسلمين أو تمتحنهم بما لم يأمرهم به الله ورسوله، مثل أن يُقال: أنت إخواني أم سلفي؟ أنت قطبي أم جهادي؟ ... إلخ، وأسست نظرتها إلى التعدّد الواقع بينها على أنه تعدّد تخصص وتنوُّع تتكامل به الجهود، وليس تعدّد تنازع وتضادّ يفضي إلى البغضاء والتهارج؛ فقد امتهد السبيل إلى القبول بهذا التعدّد على النحو الذي قبلت به الأمة تعدّد المذاهب الفقهية من قبل). الثواب والمتغيّرات (ص ٢٤٣ و ٣٤١).

(١) سورة البقرة (١٥٩-١٦٠).

يكتمونهم إيَّاه)، ثم أورد الآيتين السابقتين^(١).

الأمر الرابع: قول أحد مشايخهم - وهو محمود الشبلي - متحدثاً عن مواقف منسوبي المنهج السلفي من حمل السلاح ونبذ: (فظائفةٌ على أوَّل رأيها في نبذ المعسكرات والأعمال القتالية وتسميتها بالفتن، وفظائفةٌ أخرى ترى ذلك الخيار متاحاً والعمل جهاداً لكنها رجعت للقول بأن الظرف غير ملائم، وفظائفةٌ ثالثةٌ تواصل المسيرة في الإعداد وتدريب الشباب في المعسكرات). والفظائفة الثانية التي يشير إليها هي جماعة الاعتصام، وكلامه هذا في كتاب له طُبِع عام (١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م)^(٢).

الأمر الخامس: مما يدلُّ على الغش في منهج جماعة الاعتصام وزيف دعوى التراجع عن قتال الفتن والخروج على ولاة الأمر:

(أ) ثقة مشايخهم في دعاة التكفير بالباطل، أمثال سيّد إمام (الذي يتسمّى أحياناً: عبد القادر عبد العزيز)^(٣) وأبي بصير (عبد المنعم مصطفى حلّيمة)، فالأوّل ممن اعتمدوا عليه في صياغة منهجهم المنشور، وأثنى عليه محمّد عبدي أمل، والثاني أشاد به محمود الشبلي وقَدّمه للناس على أنه عالمٌ في مسائل الجهاد والسياسة، وكأن الدنيا خلت من علماء سلفيين أهلٍ للكلام في هذه المسائل^(٤).

(١) عدّة الصابرين (ص ٩٣-٩٤، ط: الكتاب العربي).

(٢) تذكرة الأواب (ص ٧).

(٣) وهو أوّل أمير لجماعة الجهاد المصريّة، ومنظرٌ فكر الغلو في التكفير، وشيخ أيمن الظواهريّ. كانوا يسمّونه: مفتي الجهاد، وكتابه: (العمدة في إعداد العدة للجهاد) و (الحثُّ على طلب العلم الشريف) في طليعة هذا الاتجاه - نشر الغلو في التكفير، واستباحة دماء المسلمين، وإسقاط علماء السنّة (أمثال المشايخ: ابن باز والألباني وابن عثيمين)، واتّهامهم بالإرجاء الغالي الذي كَفَّر السلفُ أهله - . أما كتابه: (وثيقة ترشيد العمل الجهادي) فلا يعدُّ رجوعاً عن تكفيره للمجتمعات الإسلاميّة. وخير ما يُضرب به المثل لخلافه مع تنظيم القاعدة: أنه كقائد الجيش الذي أدرك أنّ المعركة خاسرةٌ فانسحب بجيشه إبقاءً على مُهَجِّمهم وانتظاراً لفرصةٍ أفضل، بخلاف مخالفه المتهورين.

(٤) يرجع في توثيق كلام (أمل) و (الشبلي) إلى تسجيل للشيخ: عيسى عبد الوهَّاب، على هذا [الرابط](#).

ب) استحسانهم للفتن التي حصلت في بعض البلدان العربيّة كمصر وتونس واليمن - المسماة (الربيع العربيّ) كذباً وزوراً -؛ فقد حبّذاها غير واحدٍ من كبارهم، منهم: بشير أحمد صلاح (أمير جماعة الاعتصام حالياً)، ومحمّد إدريس أحمد (الأمير السابق للجماعة).

ج) تبرئة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة من وصفهم بأنهم خوارج، كما فعله بعض شيوخهم، كمحمّد عبدي أمل وعبد الناصر حاج أحمد.

الأمر السادس: حركة (الحزب الإسلاميّ) - التي نشأت عام (٢٠٠٩م) - كانت عبارةً عن ائتلاف أربع مجموعاتٍ من جماعة الاعتصام؛ إحدى هذه المجموعات - وهي الجبهة الإسلاميّة - من صنع حركة الاعتصام رسمياً، وتزعم الحزب في وقتٍ لاحقٍ حسن طاهر أويس، الذي كان في وقتٍ من الأوقات نائب أمير جماعة الاتحاد، ثم رئيس مجلس شوريّ اتّحاد المحاكم الإسلاميّة، ولم نعلم تبرؤهم من هذا الحزب أيّام نشاطه.

وقد تسبّب هذا الحزب في تشريد مئات الآلاف من المسلمين من العاصمة مقديشو بعد خروج القوّات الإثيوبيّة منها.

ومن غرائب زعيم هذا الحزب (حسن طاهر أويس): أنه في الوقت الذي يسفك فيه دماء المسلمين بحجّة إخضاعهم للحكم الإسلاميّ فإنه يقرّ لغلاة الصوفيّة بأنهم من أهل السنّة. فقد قال للشيخ القادريّ الذي ناظره عبر إذاعة في مقديشو: (لا نخرجكم من أهل السنّة).

الأمر السابع: ذكر حسن محمّد إبراهيم (أبو حسّان) - في مقالٍ له منشورٍ في الموقع الرسميّ لجماعة الاعتصام^(١) - موقف الجماعة من المشاركة السياسيّة، فقال: (أما من حيث التأميل، فقد حسمت الجماعة موقفها الشرعيّ والمبدئيّ من المشاركة السياسيّة، فنصّت في منهجها على جوازها، بشرط تحقيقها للمصالح المشروعة. وقد جاء في باب السياسة الشرعيّة من منهج الجماعة: "وأما المشاركة في الانتخابات البرلمانيّة والرئاسيّة في بلاد الإسلام أو في بلاد الكفر؛ فهي من المسائل التي يختلف فيها الحكم زماناً ومكاناً وحالاً، من جهة مدى تحقيقها للمصالح المشروعة. والدخول فيها

(١) وعنوانه: الاتّجاه السلفيّ ومستقبله في السياسة الصوماليّة.

بنية الإصلاح وتقليل الشرِّ، تأويلٌ سائغٌ، أفتى بموجبه أكثر علماء العصر، بينما أفتى الآخرون بالتحريم. أما التكفير بذلك فهو غلوٌّ ومخالفةٌ وشذوذٌ^(١). أما من الناحية العملية، فقد أنشأت الجماعة في مجلس شوراها لجنةً تعنى بالملف السياسيِّ ومتابعة تطوُّراته، بالإضافة إلى إعداد ما يمكن أن تتَّخذه من مواقف حيال القضايا السياسيَّة، وتقديم ذلك إلى مجلس الشورى للبتِّ فيها اعتماداً أو رفضاً، ما يشير إلى أن الجماعة خطت بالفعل نحو المشاركة في العمليَّة السياسيَّة أو التأثير عليها كجماعة ضغطٍ).

ثم ذكر في مقاله - مفتخراً - أن عدداً من كوادر الجماعة تولَّوا وزاراتٍ في الحكومة المركزية وحكومتى أرض الصومال وبونت لاند، وأسَّسوا أحزاباً سياسيَّةً تسعى إلى المشاركة في الانتخابات الرئاسيَّة المقبلة، وعددٌ مفاخر من هذا القبيل.

الأمر الثامن: قول زعيمهم الأوَّل الذي كان أميراً لحركة الاتِّحاد أطول فترةٍ - وهو الشيخ علي ورسمه - : (إن جماعة الاتِّحاد تبنت النظام الإخوانيَّ في الإدارة ولكن بمضمونٍ سلفيِّ).

وقد كان هذا الزعيم في أوَّل أمره من جماعة الإصلاح (التي تمثل تنظيم الإخوان الدوليِّ في الصومال)، ثم استقال منها وانضمَّ إلى جماعة (وحدة الشباب الإسلاميِّ) في شمال الصومال، فصار أميراً عليها قبيل تكوين (الاتِّحاد الإسلاميِّ).

وقال - منتقداً - : (الشعارُ السائد الذي أدركته في الصومال هو ثلاثيَّةٌ، تقول: أنا الشافعيُّ مذهباً، الأشعريُّ عقيدةً، القادريُّ طريقةً. والآن تحوَّل هذا الشعار عندنا إلى: أنا الحنبليُّ مذهباً، الوهابيُّ عقيدةً، البازيُّ أو الألبانيُّ اتِّجهاً.. وهو نفس الشكل لم يتغيَّر).

ويتهم هذا الزعيم ما أسماه بالوهابيَّة بأنهم وراء التكفير والعنف، كما في مقابلةٍ أجرتها معه شبكة (الصومال اليوم)، بعنوان: (مراجعات سلفيَّة في الصومال). وكرَّر معنى ذلك (عام ١٤٣٤ هـ) في محاضرةٍ له بمسجد أبي بكرٍ في (نيروبي) عاصمة كينيا، مضيفاً أن السلفيَّة قسمان: قديمةٌ علميَّةٌ لا غبار عليها، وأخرى أسَّسها ابن تيميَّة وتبعه عليها محمَّد بن عبد الوهاب^(١).

(١) يرجع في الرِّدِّ على دعوى تقسيم السلفيَّة إلى تسجيلٍ للشيخ: عبد الكريم بن حسن حوش، على هذا [الرابط](#).

الأمر التاسع: لا نرى منهم ولائاً للسلفيين الذين أنكروا عليهم الخروج على الأئمة والقتال في الفتنة، بل نرى وُدَّهم ووجهتهم إلى غير السلفيين، وبخاصة الجماعات القطيية التي أفسدت مناطق كثيرة في العالم، مثل: جبهة الإنقاذ الجزائرية، وتنظيم محمد سرور زين العابدين، ومع ذلك ينبزون السلفيين بأنهم (سلفية جديدة).

وننبه ههنا إلى أمورٍ تتعلّق بهذه التسمية - باختصارٍ -:

أولاً: هذه التسمية قُصد بها التنفير عن الحقِّ وأهله، وهذا من علامات أهل البدع.

قال أبو حاتم الرازي: (علامة أهل البدع: الوقعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشويةً، يريدون إبطال الآثار. وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهةً. وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مجبرةً. وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة مخالفةً ونقصانيةً. وعلامة الراضية: تسميتهم أهل السنة ناصبةً. ولا يلحق أهل السنة إلا اسمٌ واحدٌ، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء).^(١)

وقال أبو عثمان الصابوني: (رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم ساحراً، وبعضهم كاهناً، وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفتوناً، وبعضهم مفترياً مختلفاً كذاباً، وكان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعايب بعيداً بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفياً نبياً، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾^(٢). كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره، ونقله آثاره، ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته، فسماه بعضهم حشويةً، وبعضهم مشبهةً، وبعضهم نابتةً، وبعضهم ناصبةً، وبعضهم جبريةً، وأصحاب الحديث عصابةً من هذه المعايب بريئةٌ زكيةٌ نقيّةٌ، وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القويّة، قد وفقهم الله جلَّ جلاله لاتباع كتابه ووحيه

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٧٩).

(٢) سورة الإسراء (٤٨)، وسورة الفرقان (٩).

وخطابه، والافتداء برسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منها، وأعانهم على التمسك بسيرته والافتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لمحبتته، ومحبة أئمة شريعته، وعلما أمته، ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة، بحكم قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المرء مع من أحب»^(١).

ثانياً: هذه التسمية لم تصدر عن أحد من العلماء الأئمة الذين عرفوا بالتحذير من البدع وأهلها، وإنما جاء بها قومٌ عرفوا بمخالفة السنة وعداوة أهلها؛ فلا ترى أحداً منهم إلا وهو في دائرة من دوائر الحزبية الضيقة التي تملأ قلوب أهلها حقداً وغيظاً على من لم يشاركهم أو يداهنهم.

وقد وُجد في بعض الوثائق التي تسربت إلى حركة الاتحاد عام (١٩٨٤م) أن أمن الدولة في الحكومة الصومالية ذكر ضمن تقرير له السلفية الجديدة مع الوهابية والصوفية وجماعة الاتحاد، وكان المقصود بذلك الجماعة الأخيرة. وأغلب الظن أن الأمن الصومالي تلقف هذه الكلمة مما كان يدندن حوله الإخوان المسلمون. ومما يقوي هذا الاحتمال أن القرضاوي قال - متحدثاً عما يسميه الحركة السلفية وتفروعاتها -: (ومنهم: السلفيون الجدد، الذين يسميهم بعض الناس (السروريين) وهم الذين اهتموا بالجانب السياسي مع الجانب العقدي، ونقد الأوضاع العامة المحلية والدولية، وكان لهم موقفهم من دخول الأمريكان إلى المنطقة في حرب الخليج، وفيهم علماء ودعاة لهم وزنهم، مثل المشايخ: فهد سلمان^(٢) العودة، وسفر الحوالي، وعايض القرني^(٣)).

ثالثاً: لا يصح تقييد السلفية بمكان أو زمان أو شخص، ولا تخصيصها بجزء من الدين كالعلم أو الجهاد أو غير ذلك؛ لأن السلفية منهجٌ واحدٌ لا يتعدّد، ودينٌ كاملٌ لا يتجزأ، فمن أخذ بها

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، باب علامة حبّ الله عزّ وجلّ، ح ٦١٦٨-٦١٦٩ و ٦١٧٠)، ومسلم (كتاب البرّ والصلة والآداب، باب «المرء مع من أحب»)، ح ٢٦٤٠ و ٢٦٤١، من حديث ابن مسعود، ومن حديث أبي موسى رضي الله عنهما.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) كذا، والصواب: سلمان بن فهد.

(٤) أمّتنا بين قرنين (ص ٧٤).

واستقام عليها فهو من أهلها، وإلا فلا تجوز نسبتها إليها؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن آءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا آءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن نُّوَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

قال البرهاري: (ولا يحلُّ لرجلٍ مسلمٍ أن يقول: فلانٌ صاحبٌ سنَّةٍ حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنَّة، لا يُقال له: صاحبٌ سنَّةٍ حتى تجتمع فيه السنَّة كلها)^(٢).

والسلفيون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ على طريقٍ مستقيمٍ، وإن كان أفرادهم غير معصومين من الخطأ، فإذا أخطأ بعضهم في مسائلٍ جزئيةٍ فلا يُدَّمُ جميعهم بذلك ويوصفون بأنهم على دينٍ جديدٍ.

رابعاً: هذه التسمية متناقضة؛ وذلك لأن السلف الصالح هم أهل الاتِّباع للكتاب والسنَّة، والدين الذي كانوا عليه هو الأمر الأوَّل العتيق الذي لم تشبهه شائبة المحدثات، فكيف يُوصف القديم بأنه جديد؟! إنَّ هذين الوصفين لا يجتمعان عند مَنْ يفقه ما يقول.

خامساً: هذه التسمية دعوى لا دليل عليها، فإذا كان هؤلاء الذين يلقَّبون السلفيين بذلك صادقين فليذكروا ما أحدثه السلفيون في الدين وخالفوا فيه السلف الصالح، وإلا فهم داخلون في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾^(٣).

قال ابن كثير: (وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي: ينسبون إليهم ما هم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه، ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾، وهذا هو البهت البين: أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقُّص لهم)^(٤).

سادساً: هذه التسمية ونحوها^(٥) لا تضرُّ أهل الحقِّ، ولا تغيرُّ من الحقيقة شيئاً، بل تدلُّ على

(١) سورة البقرة (١٣٧).

(٢) شرح السنَّة (ص ١٢٨، ط: المنهاج).

(٣) سورة الأحزاب (٥٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/٤٨٠، ط: طيبة).

(٥) مثل: طعن بعضهم في السلفيين باسم (الجمامية). والعلماء الكبار قد دافعوا عن الشيخ محمَّد أمان الجمامي، =

إفلاس أهل الباطل من الحجج والبراهين، وعلى عجزهم عن الوقوف في وجه الدعوة الصحيحة إلا بهذه الطريقة.

وقد أخرج البخاريُّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريشٍ ولعنهم؟! يشتمون مذمَّماً، ويلعنون مذمَّماً، وأنا محمَّدٌ»^(١).

فالحمد لله الذي ردَّ كيد هؤلاء إلى التناز، كما ردَّ كيد الشيطان إلى الوسوس.
هذا - الذي سبق - ملخَّصٌ لتاريخ جماعة (الاعتصام بالكتاب والسنة)، وأهمُّ المؤاخذات عليها.

= وذكروا أنه لا توجد فرقةً جاميَّةً، بل ذكر الشيخ صالح الفوزان وغيره أنَّ الذين يطعنون فيمن يسمُّونهم الجاميَّة يطعنون فيهم لأجل التوحيد والسنة مثلما طعنوا في الوهابيَّة. راجع كتاب: تنزيه الدعوة السلفيَّة من الألقاب التنفيريَّة، للشيخ: عمر بن عبد الرحمن العمر، وقدم له: الشيخ: صالح الفوزان. وراجع أيضاً: حقيقة الجاميَّة، على هذا [الرابط](#).

(١) انظر: صحيح البخاريِّ (كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٤/١٨٥، ح ٣٥٣٣).

ثانياً: جماعة «الإخوان المسلمون»

هي جماعة أسَّسها حسن البنا في (الإسماعيلية) بمصر، وذلك في عام (١٣٤٧ هـ، ١٩٢٨ م).
وحقيقة دعوة الجماعة قد لخصها البنا في قوله: (إن الإخوان المسلمين: دعوةٌ سلفيةٌ... وطريقةٌ
سنيةٌ... وحقيقةٌ صوفيةٌ... وهيئةٌ سياسيةٌ... وجماعةٌ رياضيةٌ... ورابطةٌ علميةٌ ثقافيةٌ... وشركةٌ
اقتصاديةٌ... وفكرةٌ اجتماعيةٌ...)^(١).

وكما قيل قديماً: (من ثارهم تعرفونهم)؛ فإنَّ حصاد خمسٍ وثمانين سنةً من العمل والحركة
لم يكن في نصرة السنَّة، بل في الصدِّ عنها وعن أهلها، وتمزيق وحدة المسلمين، وتفريخ أهل الفتن،
وما زالوا كذلك إلى يومنا هذا.

وبيان ذلك فيما يأتي:

موقف «الإخوان المسلمون» من التوحيد:

لم يهتمَّ «الإخوان المسلمون» بقضية التوحيد، سواءً توحيد العبادة أم توحيد الأسماء والصفات،
خلافاً لدعوة الأنبياء، فقد كان كلُّ رسولٍ يبدأ دعوته بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة؛ كما قال تعالى:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).

وقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذٍ حين أرسله إلى اليمن: ((إنك تأتي قوماً من أهل
الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله))، وفي رواية: ((إلى أن يوحدوا الله))^(٣).

(١) مجموع رسائل حسن البنا (ص ٢٤٨-٢٥٠).

(٢) سورة الأنبياء (٢٥).

(٣) أخرجه البخاريُّ (كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس، ١١٩/٢، ح ١٤٥٨) ومسلمٌ (كتاب
الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ٣٧/١، ح ١٩) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما.
والرواية الأخرى أخرجه البخاريُّ (كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى
توحيد الله، ١١٤/٩، ح ٧٣٧٢).

والمرشد الأول للجماعة يرى أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً، بل يقول عنها: كبيرة^(١).
وقد دلت النصوص الشرعية على أن دعاء غير الله تعالى شرك، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾^(٤).
قال شيخ الإسلام: (من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً)^(٥). نقله عنه غير واحدٍ مقررٍ له، منهم ابن مفلح في الفروع، وصاحب الإنصاف [المرادوي] وصاحب الغاية [مرعي الكرمي] وصاحب الإقناع [الحجاوي] وشارحه [البهوتي] وغيرهم، ونقله صاحب القواطع [الهيتمي] في كتابه^(٦) عن صاحب الفروع^(٧).
وقال حسن البنا أيضاً^(٨): (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحدٍ من خلقه خلاف فرعي في

(١) مجموع رسائل حسن البنا (رسالة التعاليم، الأصول العشرون، الأصل الرابع عشر، ص ٢٧٧، ط: مركز البصائر للبحوث والدراسات، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).

(٢) سورة المؤمنون (١١٧).

(٣) سورة يونس (١٠٤-١٠٦).

(٤) سورة الأحقاف (٥-٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١/١٢٤).

(٦) الإعلام بقواطع الإسلام للهيتمي (ص ٣٨٩، المطبوع في آخر الزواجر).

(٧) تيسير العزيز الحميد (١/٤٩٣، ط: الصمعي).

ويحسن بالقارئ أن يراجع فصل الدعاء من كتاب العبادة للمعلمي (٢/٧٥٤، ط: عالم الفوائد)؛ ليقف على الآيات والأحاديث الواردة في المسألة وكلام أهل العلم عليها.

(٨) في مجموع رسائله (رسالة: التعاليم، الأصل الخامس عشر، ص ٢٧٧، ط: مركز البصائر).

كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة).

والصواب: أن التوسُّل الذي ذكره حسن البنا هو من مسائل العقيدة؛ لأن ((الدعاء هو العبادة))، كما صحَّح عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)، والتوسُّل بذوات المخلوقين في الدعاء بدعةٌ ووسيلةٌ إلى الشرك الأكبر.

وتعرَّض حسن البنا لآيات وأحاديث الصفات التي يقول: إنها (توهم بظاهرها مشابهة الحقِّ تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتهم)، ونقل عن السلف والخلف حججها، وذكر أن الطريقتين كانا مثار خلافٍ شديدٍ بين علماء الكلام، قائلاً: (إن السلف يتركون بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى)، مدَّعيًا (أنَّ كلاً من الفريقين عنده تأويلٌ، لكن تأويل السلف مجملٌ وتأويل الخلف مفصَّلٌ).

قال: (ولو بحثت الأمر لعلمت أن مسافة الخُلف بين الطريقتين لا تحتمل شيئاً من هذا لو ترك أهل كلٍّ منهما التطرُّف والغلوَّ، وأن البحث في مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول لا يؤدِّي في النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ هي: التفويض لله تبارك وتعالى)^(٢).

نقول: لا يخفى أن السلف (فسَّروا جميع القرآن، وكانوا يقولون: إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به، وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وكذلك لا يعلمون كيفية الغيب)^(٣).

و (مَنْ قال: إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد به لا يعلمه إلا الله فهذا ينازعه فيه عامَّة الصحابة والتابعين الذين فسَّروا القرآن كلَّه؛ وقالوا: إنهم يعلمون معناه، كما قال مجاهدٌ: عرضت

(١) أخرجه أحمد (٢٩٧/٣٠) و ٣٣٦ و ٣٤٠ و ٣٨٠ و ٣٨٢، ح ١٨٣٥٢ و ١٨٣٨٦ و ١٨٣٩١ و ١٨٤٣٢ و (١٨٤٣٦) وأبو داود (كتاب الصلاة، باب الدعاء، ٤٦٦/١، ح ١٤٧٩) والترمذي (كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، ٢١١/٥، ح ٢٩٦٩) و: باب ومن سورة المؤمن، ٣٧٤/٥، ح ٣٢٤٧) و: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ٤٥٦/٥، ح ٣٣٧٢) وابن ماجه (كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ١٢٥٨/٢، ح ٣٨٢٨) وغيرهم، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما. قال الترمذي: (هذا حديث حسنٌ صحيحٌ). وجوَّد إسناده ابن حجرٍ. انظر: فتح الباري (١/٤٩).

(٢) رسالة العقائد (ضمن مجموع رسائل حسن البنا، ص ٤٧٩ و ٤٨٨-٥٠٠).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٠٧-٢٠٨).

المصحف على ابن عباسٍ من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آيةٍ وأسأله عنها. وقال ابن مسعودٍ: ما في كتاب الله آيةٌ إلا وأنا أعلم فيم أنزلت. وقال الحسن البصريُّ: ما أنزل الله آيةً إلا وهو يحبُّ أن يُعلم ما أراد بها.

ولهذا كانوا يجعلون القرآن يحيط بكل ما يُطلب من علم الدين، كما قال مسروقٌ: ما نسأل أصحاب محمدٍ عن شيءٍ إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه. وقال الشعبيُّ: ما ابتدع قومٌ بدعةً إلا في كتاب الله بيانها^(١).

وقد علم أهل الحق أن التفويض ليس من مذهب السلف، بل هو من شرِّ أقوال أهل البدع. قال شيخ الإسلام ابن تيميةً: (وأما التفويض: فإن من المعلوم أن الله - تعالى - أمرنا أن نتدبر القرآن، وحصنا على عقله وفهمه؛ فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منا الإعراض عن فهمه، ومعرفته، وعقله؟)، إلى أن قال - رحمه الله -: (فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد)^(٢).

وأما قوله: إنَّ (كلاً من الفريقين عنده تأويلٌ، لكن تأويل السلف مجملٌ وتأويل الخلف مفصَّلٌ). فالجواب عنه: أن السلف لم يعرفوا تأويلات الخلف، ومن أدرك منهم تأويلات الجهمية التي قلدها الكلابية والأشاعرة والماتريدية أنكرها أشدَّ الإنكار، وتبرأ منها.

ويلخص مذهبهم ما نقله أبو عمر بن عبد البر عند شرحه لحديث النزول، إذ قال: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفةً محصورةً. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلُّهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبهٌ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحقُّ فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله)^(٣).

(١) المصدر السابق (١/٢٠٨).

(٢) المصدر السابق (١/٢٠١-٢٠٥).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/١٤٥).

ومؤسس جماعة الإخوان لم يكن على علمٍ بعقيدة السلف الصالح، فانظر ما نقله جابر رزق^(١) عن عبد الرحمن البنا - شقيق حسن البنا، وقد كان من أعضاء مكتب الإرشاد في حياة شقيقه - عندما قال: (وذلك أنه حين يهَلُّ هلال ربيعِ الأوَّلِ كنا نسير في موكبٍ مسائيٍّ كلَّ ليلةٍ حتى ليلة الثاني عشر نُنشد القصائد في مدح الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وكان من قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

صَلَّى الإله على النور الذي ظهرا للعالمين ففاق الشمس والقمر
كان هذا البيت تردده المجموعة، يُنشد أخي وأنشد معه:

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا وسامح الكلِّ في ما قد مضى وجرى
لقد أدار على العشاق خمرته صرفاً يكاد سناها يُذهب البصر
ياسعد كرر لنا ذكر الحبيب لقد بلبلت أسماعنا يا مطرب الفقرا
وما لركب الحمى مالت معافه لا شكَّ أن حبيب القوم قد حضرا

نقول: هذه الأبيات فيها إسناد مغفرة الذنوب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم في قوله: (وسامح الكلِّ فيما قد مضى وجرى). وهو شركٌ أكبر، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣)، والاستفهام في هذه الآية هو بمعنى النفي، أي: لا يغفر الذنوب أحدٌ إلا الله، وقد ورد النفي صريحاً في الأحاديث الصحيحة، مثل حديث شدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((سَيِّدُ الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا

(١) انظر: حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه (ص ٧٠-٧١).

(٢) سورة آل عمران (١٢٨).

(٣) سورة آل عمران (١٣٥).

أنت))^(١). ومثل حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: علمني دعاءً أدعوه به في صلاتي، قال: ((قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك...)) الحديث^(٢).

وفي الحديث القدسي: ((علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به))^(٣). وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأقرب الناس إليه: ((اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً))^(٤). وقد بايع حسن البنا على الطريقة الصوفية الحصافية، يقول: (وحضر السيد عبد الوهاب - نفع الله به - إلى دمنهور... وكان ذلك عقب صلاة العصر من يوم (٤/ رمضان/ ١٣٤١ الهجرية)... حيث تلقيت الحصافية الشاذلية عنه وأذني بأدوارها^(٥) ووظائفها^(٦)).

وقال محمد قطب - في معرض الثناء على حسن البنا -: (بدأ حياته صوفياً، فانتمى منذ صباه إلى جماعة صوفية عمقت إشراقه الروحي ووصلت قلبه بالله)^(٧).

وقد استمر على ذلك إلى آخر أيامه، كما نقل ذلك أبو الحسن الندوي، قال عن البنا: (إنه كان في

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ٦٧/٨، ح ٦٣٠٦، وباب ما يقول إذا أصبح، ٧١/٨، ح ٦٣٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، ١٦٦/١، ح ٨٣٤، ومواضع أخرى)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ٧٤/٨، ح ٢٧٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾، ١٤٥/٩، ح ٧٥٠٧) ومسلم (كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، ٩٩/٨، ح ٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ١١١/٦، ح ٤٧٧١) ومسلم (كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ١٣٣/١، ح ٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) كذا، ولعله: وأذن لي بأورادها.

(٦) مذكرات الدعوة والداعية (ص ١٩).

(٧) واقعنا المعاصر (ص ٤٠٢).

أوّل أمره - كما صرّح بنفسه - على الطريقة الحصافيّة الشاذليّة، وكان قد مارس أشغالها وأذكارها، وداوم عليها مدّة، وقد حدّثني كبار رجاله وخواص أصحابه أنه بقي متمسكاً بهذه الأشغال والأوراد إلى آخر عهده وفي زحمة أعماله^(١).

وقال سعيد حوى - وهو أحد كبار منظري الإخوان -: (ثم إن حركة الإخوان المسلمين نفسها أنشأها صوفيٌّ، وأخذت حقيقة التصوّف دون سلبّيّاته)^(٢).

وقال عمر التلمسانيّ - المرشد الثالث للجماعة -: (قال البعض: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستغفر لهم إذا جاؤوه حيّاً فقط، ولم أتبيّن سبب التقييد في الآية عند الاستغفار بحياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وليس في الآية ما يدلُّ على هذا التقييد... ولذا أراني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستغفر حيّاً وميتاً لمن جاءه قاصداً رحابه الكريم... فلا داعي إذاً للتشدّد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد، وكرامات الأولياء من أدلّة معجزات الأنبياء).

ويقول أيضاً: (فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوّارهم والداعين عند قبورهم).

ويقول: (أقول للمتشدّدين في الإنكار: هوناً ما، فما في الأمر من شركٍ ولا وثنيّة ولا إلحاد)^(٣).

نقول: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٤).

فأبيّ شرك عند القبور أو وسيلة إليه أبقاه هذا الرجل؟ مخالفاً بذلك الأحاديث المتواترة في النهي

(١) التفسير السياسي للإسلام (ص ١٣٩).

(٢) جولات في الفقهاء الكبير والأكبر (الجولة الثامنة، ص ١٥٤). بواسطة: وقفات مع كتاب "للدعاة فقط" (ص ٣٨).

(٣) شهيد المحراب عمر بن الخطّاب (ص ٢٢٥-٢٢٦). بواسطة: وقفات مع كتاب "للدعاة فقط" (ص ١٤-١٦).

(٤) سورة النساء (١٢٣).

عن اتّخاذ القبور مساجد ولعن مَنْ فعل ذلك^(١). وهذا أقلُّ ما يصنعه عبّاد القبور بقبور أوليائهم، ثم يأتي الدعاء والاستنجاد بهم.

موقف «الإخوان المسلمون» من الولاء والبراء:

كان مؤسّس الحركة يتهاون في موالاتة اليهود والنصارى، إذ قال عن اليهود: (أقرّر أن خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن حصّ على مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتّفاقاً، ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)). وعندما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية، فقال تعالى: ﴿فِظَاهِرٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيْبَتِ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾^(٣).

وقد أخبر الله عن اليهود أنهم قالوا: عزيزُ ابن الله، وأنهم اتّخذوا العجل إلهاً من دون الله، وأنهم باؤوا بغضبٍ من الله بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حقٍّ، وأنهم محرّفون لكلام الله، وأنهم كفروا بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم بعد أن كانوا يستفتحون على الذين كفروا، وأنهم أشدُّ الناس عداوةً للذين آمنوا، وغير ذلك من مخازيمهم. وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾^(٤)، وقال سبحانه آمراً للمؤمنين بقتالهم وقاتل النصارى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،

(١) يرجع إلى كتاب: عمارة القبور، للعلامة المصلّي، وكتاب: تحذير الساجد من اتّخاذ القبور مساجد، للشيخ الألباني.

(٢) سورة العنكبوت (٤٦).

(٣) سورة النساء (١٦٠-١٦١).

(٤) انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (١/٤٠٩-٤١٠).

(٥) سورة المائدة (٥١).

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١٠٠﴾. فأين المصافاة التي بيننا وبينهم؟

وقال المؤسس أيضاً: (وليست حركة «الإخوان المسلمون» موجهة ضد عقيدة من العقائد، أو دين من الأديان، أو طائفة من الطوائف؛ إذ إن الشعور الذي يهيمن على نفوس القائمين بها أن القواعد الأساسية للرسالات جميعاً قد أصبحت مهددة الآن بالإلحادية والإباحية. وعلى الرجال المؤمنين بهذه الأديان أن يتكاتفوا ويوجهوا جهودهم إلى إنقاذ الإنسانية من هذين الخطرين الزاحفين)^(١).

نقول: قد نسخ الله بالإسلام الشرائع السابقة، فكيف تكون مهددة وقد مضى وجودها؟ ومن بقي بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم متبعاً لشرعية سابقة فلا يُقبل منه ذلك، ولا يُقبل منه إلا الإسلام أو الجزية. ثم إن الإلحاد لا ينتعش إلا حيث وجد الجهل والبعد عن الدين الصحيح.

وما أروع ما قاله الشيخ محمد البشير الإبرهيمي رحمه الله - ناقضاً مثل فهم حسن البنا والقرضاوي -: (وإنك لا تبعد إذا قلت: إن لفسو الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة أثراً كبيراً في فسو الإلحاد بين أبنائها المتعلمين تعلماً أوروباً وياً، الجاهلين بحقائق دينهم، لأنهم يحملون من الصغر فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين، وأن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدّم بهم العلم والعقل لم يستسغها منهم علم ولا عقل، فأنكروها حقاً وعدلاً، وأنكروا معها الدين ظلماً وجهلاً، وهذه إحدى جنایات الطرقية على الدين. أرايت أن القضاء على الطرقية قضاءً على الإلحاد في بعض معانيه وحسب لبعض أسبابه. وقد قرأت في هذه الأيام لكاتبٍ تونسيٍّ مقالاً ينعى فيه على جمعية العلماء إهمالها لهذه الجهة من جهات الفساد وهي الإلحاد، واعتذر عن علماء جامع الزيتونة بأنهم - وإن قعدوا في نواحي الإصلاح التي تحبُّ فيها جمعية العلماء وتضع - قاموا في حرب الإلحاد بما شكرهم عليه، ولكنه حصر عملهم في هذا السبيل في خطبٍ جمعيتيةٍ ينددون فيها بالإلحاد ويحذرونه، وفات

(١) سورة التوبة (٢٩).

(٢) انظر: في قافلة الإخوان المسلمين (١/ ٢٦٢-٢٦٣).

هذا الكاتب الفاضل أنَّ جمعية العلماء لم تسكت عن الإلحاد، بل هاجمته في أمّنع معاقله، ونازلته في أضيّق ميادينّه، كما فاته أنَّ صرعى الإلحاد لا يغشون المساجد، فما تأثير الخطب الجُمعيّة التي تُلقَى على المصلّين؟ وهل يداوى المريض بتحذير الأصحّاء من المرض أو أسباب المرض؟ إلا أنَّ العالم المرشد كالطبيب لا ينجح في إنقاذ المريض من الموت إلا بغشيان مواقع الموت ومباشرة جراثيم الموت^(١).

ومؤسّس حركة الإخوان من دعاة التقريب مع الشيعة الرافضة^(٢).

وحقّ أن يسمّى التخريب لا التقريب^(٣).

فأيُّ تقريبٍ يصحُّ مع قومٍ يؤمنون بتحريف القرآن ونقصانه، ويكفرون الصحابة، ويتّهمون أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وكلُّ واحدةٍ من هذه الأمور الثلاثة كفرٌ مستقلٌّ. ويؤمنون أيضاً بعصمة أئمّتهم، وأنهم يعلمون الغيب، ويدبّرون الكون. ومن أركان الإيمان والإسلام عندهم مسألة الإمامة المتوارثة في اثني عشر إماماً، ومن لم يؤمن بها فهو كافرٌ عندهم.

مع إيمانهم بالتقيّة، واستحلالهم دماء أهل السنّة وأموالهم - كما هو مقررٌ في كتبهم -؛ لأنهم يرونهم نواصب، وحكم النواصب عندهم معروفٌ مشهورٌ.

وهم مع ذلك كلّهم جمعوا أحسنّ المذاهب: مذهب الجهميّة والمعتزلة في نفي الصفات، والقول بأن القرآن مخلوقٌ، وأن الله لا يرى في الآخرة، ومذهب نفاة القدر من القدريّة والمعتزلة في أفعال العباد^(٤).

والرافضة إن مشوا معك في مسألة التقريب بين المذاهب فإنها يريدون بذلك اصطياذك،

(١) آثار محمّد البشير الإبراهيمي (١/١٣٢-١٣٣).

(٢) انظر: موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلاميّة (ص ١٣ وما بعدها)، ذكريات لا مذكّرات (ص ٢٤٩-٢٥٠).

(٣) انظر: رسالة الشيخ الدكتور علي بن يحيى الحدادي، بعنوان: تخريب لا تقريب.

(٤) انظر: منهاج السنّة النبويّة (٤/٩٩ و ٨/١٠).

ولا يتزحزون عن مذهبهم قيد أنملة.

وقد أضع الدكتور يوسف القرضاويّ زمناً من وقته في مسألة التقريب، ثم اعترف بأنه كان جاهلاً بحقيقتهم وأن علماء السعودية كانوا أعرف بهم منه. قال في مهرجانٍ تضامنيٍّ مع الشعب السوريّ بعنوان: "معكم حتى النصر": (وقفتُ ضدّ المشايخ الكبار في السعودية، أدعو لنصرة هؤلاء - ما يُسمى: حزب الله - ويبدو أنّ جماعة المشايخ في السعودية كانوا أنضح مني وأبصر مني؛ لأنهم عرفوا هؤلاء على حقيقتهم، أنهم ليسوا ناصحين للمسلمين، هم كذّبة في قولهم: إننا نعمل لنصرة المسلمين)^(١).

وإن كان لا يعوّل على كلامه كثيراً؛ لأنه في الخطاب نفسه يقول: لا نقف ضدّ الشيعة كلّهم، ولا حتى النصيريّة، وهو مخدوعٌ بالخاتميّ وجماعته الذين يسمّيهم بالمعتدلين. فهؤلاء لا يؤتمنون على دين الأُمَّة؛ لأنهم ليسوا على عقيدةٍ صحيحةٍ، وكلُّ البدع تتسلّل بواسطة أمثالهم.

موقف «الإخوان المسلمون» من العنف:

قال محمود عبد الحلیم: (وأدرك الأستاذ المرشد - بحاسّة القيادة التي وهبه الله إياها - أنّ أعداء الدعوة التقليديّين - وهم المستعمرون وعلى رأسهم الإنجليز ثم أذناهم من الحكّام المصريّين الذين هم اليد التي يبطش بها هذا المستعمر - أدرك أنّ هؤلاء الأعداء هم للدعوة بالمرصاد، وأنّ الدعوة يجب ألا تكون فريسةً باردةً لهم، بل أن تكون ذات شوكةٍ لا يسهل التهامها، ومن هنا نبتت فكرة "النظام الخاصّ" للدفاع عن الدعوة...)

كان ذلك في عام (١٩٤٠)، حين دعا الأستاذ البنا خمسةً منا، هم: صالح عشاوي، وحسين كمال الدين، وحامد شريت، وعبد العزيز أحمد، ومحمود عبد الحلیم. وعرض علينا الدواعي التي رآها تقتضي الاستعداد وإنشاء نظامٍ خاصّ تواجه الدعوة به مسؤوليّاتها في المستقبل، واقتنعا برأيه، فكوّن منا نحن الخمسة قيادة هذا النظام، وعهد إلينا بإنشائه وتنظيمه وتدريبه، على أن يكون على

(١) انظر هذا [الرابط](#).

أساس من العسكرية الإسلامية القويّة النظيفة، وعلى أن يحاط بالسريّة المطلقة بحيث لا يعرف عنه أحدٌ شيئاً إلا أعضاؤه، وعلى أن يكون تمويله من جيوب أعضائه؛ لأنّ علامة الجِدِّ فيمن تقدّم للتضحية بروحه أن يضحّي بهاله^(١).

وقال مأمون الهضيبيّ - أحد مرشدي الجماعة -: (نحن نفخر ونتقرب إلى الله بالجهاز السريّ)^(٢).

وهناك حوادث معروفة من أعمال العنف منسوبة إلى الإخوان، منها:

١ - حادثة قتل القاضي الخازندار، الذي أصدر أحكاماً قاسيةً على الإخوان الذين قاموا بأعمال عنفٍ ضدّ الاحتلال^(٣).

٢ - وبعد ذلك كان قتل النقراشيّ رئيس الوزراء والحاكم العسكريّ ردّاً على قراره بحلّ جماعة الإخوان، فقام شابٌّ من الإخوان بمساعدة بعض زملائه في النظام الخاصّ بقتله^(٤).

٣ - ثم حاول الإخوان نفس محكمة الاستئناف التي كانت تضمُّ أوراق قضايا الإخوان والتنظيم الخاصّ التي كانت ضُبطت في سيارة (الجيب) لتدمير أدلّة الاتّهام ضدّ قيادته وتأمين مَنْ لم يقع في أيدي الشرطة من أعضائه^(٥).

٤ - وحاولوا أيضاً اغتيال جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية في أكتوبر (١٩٥٤م)^(٦). وقال محمود عبد الحلّيم: (أستطيع أن أقرّر أنّ فكرة إعداد الشعب اليمنيّ للثورة قد نبتت في

(١) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (١ / ٢٥٨).

(٢) انظر هذا [الرابط](#).

(٣) انظر تفاصيل القضية في كتاب: (النقط فوق الحروف - الإخوان المسلمون والنظام الخاص لأحمد عادل كمال، أحد أفراد النظام الخاص، ص ٢١٧-٢١٩)

(٤) انظر التفاصيل في المصدر السابق ص ٢٧٧-٢٨٢.

(٥) انظر: النقط فوق الحروف ص ٢٩١-٢٩٢.

(٦) الإخوان المسلمون يقرّون بهذه الحوادث الأربعة، وقد قال سيد قطب: إنّ حادث المنشية دُبّر للإيقاع بين الثورة وبين الإخوان المسلمين، تنفيذاً لأجندة أجنبية يرجح أنها أمريكية. انظر: لماذا أعدموني ص ٨.

المركز العام...^(١).

وقد ذكر سيّد قطب فيما نُشر باسم (لماذا أعدموني؟) أنه كان لديهم خطةٌ لردّ الاعتداء عن الإخوان في حال أُريد اعتقالهم، (وهذه الأعمال هي الردُّ فور وقوع اعتقالاتٍ لأعضاء التنظيم بإزالة رؤوسٍ في مقدّماتها رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربيّ، ثم نسفُ لبعض المنشآت التي تشلُّ حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبُّع بقيّة الإخوان فيها وفي خارجها، كمحطّة الكهرباء والكباري، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري...^(٢)).

موقف «الإخوان المسلمون» من تولّي النصارى للمناصب في الدول الإسلاميّة:

قال الأستاذ محمّد مهدي عاكف - أحد مرشدي «الإخوان» - متحدّثاً عن حقوق النصارى الأقباط في مصر: (إن كلمة الولاية مقصودٌ بها الرئاسة فقط، أما باقي الوزارات والهيئات فهي مناصب وليست ولايةً، ويحقُّ للأقباط العمل وتولّي المسؤوليّة بها).

وقال أيضاً: (العلاقة بيننا وبينهم [الأقباط] أكثر من ممتازةٍ، ودائماً نضعهم على قوائم انتخاباتنا في النقابات ومجلس الشعب والشورى)^(٣).

وقال أيضاً في تصريحاتٍ خاصّةٍ لـ (المصريّ اليوم)^(٤): (إن الجماعة عادةً ما تنسّق مع منير فخري عبد النور (نصراني) في دائرة الوايلي، ولا نكتفي بترك الدائرة له بدون منافسةٍ، وإنما نساعد فيه).
نقول: ليته التفت إلى ما قاله زميله في المنهج الدكتور عبد الكريم زيدان: (من شروط أهل الحلّ والعقد: العدالة الجامعة لشروطها... ومن شروط العدالة: الإسلام، فيشترط أن يكون الشخص مسلماً)^(٥).

(١) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (ص ٤٠٢).

(٢) لماذا أعدموني (ص ٣٢).

(٣) جريدة الغد (العدد ١٤، ٨/٦/٢٠٠٥ م، ص ٦).

(٤) (بتاريخ ٩/١٠/٢٠٠٥ م).

(٥) أصول الدعوة (ص ٢٠٩).

بل قال الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح - أحد كبار «الإخوان المسلمون» - في تصريحاتٍ لجريدة (العربيّ الناصريّ)^(١): (نحن لا نعترض على اختيار مسيحيّ رئيساً لمصر بالانتخاب؛ لأن هذا حقٌّ لأيّ مواطنٍ، بغضّ النظر عن ديانتته وعقيدته السياسيّة، فحتى لو كان زنديقاً فمن حقّه أن يرشّح نفسه، وإذا اختاره الشعب فهذه إرادته؛ لأن البديل في هذه الحالة هو أن تحارب الشعب وتصبح مستبدّاً، وهذا نرفضه تماماً، فنحن مع ما يختاره الشعب أيّاً كان...).

وأكد الدكتور محمّد السيّد حبيب - النائب الأوّل للمرشد العامّ - أن مكتب الإرشاد طلب من بعض الأقباط ترشيح أنفسهم في الانتخابات (انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٥م) إلا أنهم رفضوا، مشيراً إلى أن الجماعة قرّرت دعم أحد الشخصيّات القبطيّة المرشّحين في الانتخابات^(٢).

وفي الوقت الذي يناصرون فيه النصارى ويدعمونهم في الانتخابات يقول منتصر الزيّات - محامي الجماعات الإسلاميّة - أمام أبناء دائرة بولاق الدكرور: إنه رغم تمثيله للتيار الإسلاميّ إلا أن الإخوان المسلمين تعمّدوا ترشيح أحد قيادات الإخوان أمامه في الدائرة، وقد كان الأجدر بالإخوان المسلمين أن يُخلو الدائرة لأخٍ لهم يرفع نفس الشعارات التي يرفعونها. وقال: لم أكن أتصوّر أن الإخوان الذين أخلوا بعض الدوائر من أجل الأقباط والحزب الوطنيّ يرفضون إخلاء دائرتي^(٣).

سُئِلَ الدكتور حمدي حسن - المتحدث الإعلاميّ باسم نواب الإخوان المسلمين الـ (٨٨) في مجلس الشعب المصريّ -: يَتَهَمُكم البعض بعدم الوضوح في مسألة الأقباط خاصّةً في مسألة ترشيح قبطيّ لمنصب رئاسة الجمهوريّة؟

فأجاب: (نحن نقول: إن الأصل عندنا هو المواطنة، ولا فارق بين مواطنٍ مصريّ وآخر. وإذا ترشّح قبطيّ لمنصب الرئاسة واختاره الشعب فنحن مع خيار الشعب)^(٤).

(١) (العدد ٨٧٩، السنة ١١، الأحد ١٠/٥/٢٠٠٣م).

(٢) جريدة الجمهوريّة (١٨/١٠/٢٠٠٥م، ص ٥).

(٣) جريدة الجمهوريّة (٨/١٠/١٤٢٦هـ، ١٠/١١/٢٠٠٥م).

(٤) الأسرة العربيّة (العدد ٢٩٢٤، ٩/رمضان/١٤٢٧هـ، ٢/١٠/٢٠٠٦م).

وذكر الدكتور محمد جمال حشمت - مرشح الإخوان المسلمين عن دائرة دمنهور، في إحدى نشرات دعاياته الانتخابية لانتخابات عام (٢٠٠٥م) - أن من إنجازاته في الفترة التي قضاها في مجلس الشعب: مشاركة الإخوة الأقباط في جميع مناسباتهم الدينية.

وفي البرنامج الانتخابي للمستشار مأمون الهضيبي - والذي نشرته جريدة (آفاق عربية)^(١) - :
(الحرص على روح الأخوة المصرية التي أظلت أبناء مصر على مر القرون مسلمين وأقباط، وإشاعة الأصول الداعية إلى المحبة والموودة بينهم. وقد أصبح الأستاذ الهضيبي - فيما بعد - المرشد السادس للإخوان المسلمين.

وقد نادى الإخوان المسلمون بهذه المقولة نفسها في مبادرتهم حول الإصلاح في مصر^(٢) التي أُعلنت في (١٢/ محرم/ ١٤٢٥ هـ، ٣/ مارس/ ٢٠٠٤ م).

قال الدكتور جابر قميحة: (أعلن الإخوان أن الحزب الذي يدعون إلى إنشائه يتسع لعنصري الأمة: المسلمين والأقباط)^(٣).

وقد أعلن النصارى الذين يلتمعهم «الإخوان المسلمون» أمثال ميلاد حنا رفضهم للشريعة الإسلامية، بل قال ميلاد حنا: (في اليوم الذي يفوز فيه الإخوان المسلمون بأكثر من ٥٠٪ من المقاعد، فإن الأقباط الأغنياء سيغادرون البلاد وسيبقى الأقباط الأفقر، وربما يغيّر بعضهم دينه، وأتمنى أن أموت قبل أن يأتي هذا اليوم)^(٤).

(١) (الخميس ٢٨/ رجب/ ١٤٢١ هـ، ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٠ م، ص ٧، تحت بند حادي عشر: في مجال الإخوة الأقباط، تحت رقم ٦).

(٢) (ص ٣٧-٣٨).

(٣) آفاق عربية (٨/ ١٠/ ١٤٢٦ هـ، ١٠/ ١١/ ٢٠٠٥ م).

(٤) الشرق الأوسط (٢٢/ ١١/ ٢٠٠٥ م). وانظر: الأهرام (٢٥/ ١٠/ ١٤٢٦ هـ، ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٥ م).

تنبيه: النقل المتعلقة بموقف الإخوان من تولي النصارى للمناصب كلها بواسطة كتاب: "كشف البدع والرد على اللمع - حواراً هادئاً مع الأستاذ: محمد حسين، أحد رموز جماعة الإخوان المسلمين -"، تأليف: شحاتة صقر (ص ١٨٨-١٨٩، ١٩١-١٩٢، ٢٠٩-٢١٠).

نماذج من أنتجتهم دعوة الإخوان:

١ - سيّد قطب، الذي كَفَّر المجتمعات الإسلاميّة، فقال: (لقد استدار الزمان كهَيْئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدَّت البشريّة إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظلَّ فريقٌ منها يردُّد على المآذن: «لا إله إلا الله» دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يردُّدها، ودون أن يرفض شرعيّة «الحاكميّة» التي يدّعيها العباد لأنفسهم - وهي مرادف الألوهيّة - سواءً ادّعوها كأفرادٍ، أو كتشكيلاتٍ تشريعيّة، أو كشعوب؛ فالأفراد، كالتشكيلات، كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذاً حقُّ الحاكميّة.. إلا أن البشريّة عادت إلى الجاهليّة، وارتدّت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهيّة. ولم تعد توحّد الله، وتخلص له الولاء.. البشريّة بجملتها، بما فيها أولئك الذين يردُّدون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات: «لا إله إلا الله» بلا مدلولٍ ولا واقعٍ.. وهؤلاء أثقل إثماً وأشدّ عذاباً يوم القيامة، لأنهم ارتدّوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى، ومن بعد أن كانوا في دين الله) (١).

وطعن في نبيّ الله موسى عليه السلام، والخليفة الراشد عثمان بن عفان، والصحابيَّين الجليلين: عمرو بن العاصي ومعاوية بن أبي سفيان، فقال: (لأنخذ موسى؛ إنه نموذجٌ للزعيم المندفع العصبِيّ المزاج) (٢).

وقال: (ونحن نميل إلى اعتبار خلافة عليّ رضي الله عنه امتداداً طبيعياً لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان الذي تحكّم فيه مروان كان فجوةً بينهما) (٣).

وقال: (إن معاوية وزميله عمرًا لم يغلبا عليّاً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرّف النافع في الظرف المناسب. ولكن لأنهما طليقان في استخدام كلِّ سلاح، وهو مقيدٌ بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغشّ والخديعة والنفاق

(١) في ظلال القرآن (٢/١٠٥٧).

(٢) التصوير الفنّي في القرآن (ص ٢٠٠).

(٣) العدالة الاجتماعيّة (ص ٢٧٢).

والرشوة وشراء الذمم لا يملك عليٌّ أن يتدلَّى إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب ينجحان ويفشل،
وإنه لفشلٌ أشرف من كلِّ نجاحٍ^(١).

وقد ردَّ عليه الشيخ محمود محمد شاكر في عدَّة مقالاتٍ ونصحته بالتوبة مما خطَّته يده، فلم يزد
ذلك إلا عناداً، كما هو مسطرٌّ في مجلَّة الرسالة^(٢).

وملأ كتابه (في ظلال القرآن) من تأويل آيات الصفات، والغلوِّ فيما يسمَّى (توحيد الحاكمية)
مع التهاون بـ (توحيد العبادة)، والتفسير الحركيِّ الذي ابتدعه، واستقى كثيراً منه من أبي الأعلى
المودوديِّ الذي يسميه: المسلم العظيم.

ويقول: (إن الإسلام لا علاقة له بما يجري في الأرض كلها اليوم؛ لأن أحداً لا يحكِّم الإسلام في
حياته... والذين يستفتون - بحسن نيَّة أو بسوء نيَّة - هازلون! والذين يردُّون على هذه الاستفتاءات
- بحسن نيَّة أو بسوء نيَّة - والذين يتحدَّثون عن مكان أيِّ وضعٍ من أوضاع البشرية الحاضرة من
الإسلام ونظامه، أشدُّ هزلاً^(٣)).

نقول: نحن نعلم أن الله حكماً في كلِّ قضية، وأنَّ المصيب له أجران، والمخطئ بعد اجتهادٍ معتبرٍ
له أجرٌ واحدٌ، فكيف يُترك الناس حيارى، كلُّ يعمل ما يهواه؟!!

ويقول في جهلٍ فاضحٍ: (ولا بدَّ للإسلام أن يحكم؛ لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية
التي تصوغ من المسيحية والشيوعية معاً مزيجاً كاملاً، يتضمَّن أهدافها جميعاً، ويزيد عليها التوازن
والتناسق والاعتدال)^(٤).

نقول: إن الإسلام دينٌ مستقلُّ كاملٌ خاتمٌ، نزل على خاتم الأنبياء محمدٍ صلى الله عليه وسلَّم،
ولم يأخذ من النصرانية شيئاً، بل نزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيماً عليه.

فما عليه النصراني إما محرِّفٌ يجب طرحه واستبعاده، أو حقُّ نُسخ بشرِعة محمدٍ صلى الله عليه

(١) كتب وشخصيات (ص ٢٤٢).

(٢) وقد جمعها: محمد بن عوض المصري في كتاب سبَّاه: (لا تسبُّوا أصحابي).

(٣) انظر: الإسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب (ص ١٩٦).

(٤) معركة الإسلام والرأسمالية لسيد قطب (ص ٦١).

وسلّم. فلا حاجة بالمسلمين إلى ما عندهم. ولا تصحُّ نسبة النصارى إلى المسيح بعد تحريفهم لدينه.
والإسلام وحيٌّ من عند الله، فهل ربُّنا العظيم يأخذ من الشيوعيَّة الملحدة التي لا تعترف بربِّ
ولا علاقة لها بوحيِّ؟!!

ومذهبهم الاقتصاديُّ مبنيٌّ على الجهل والظلم، وهو مخالفٌ للفطرة السليمة فضلاً عن
الإسلام.

٢- محمّد الغزاليُّ، وهو على مذهب المعتزلة في ردِّ الأحاديث النبويَّة، كما دلَّت على ذلك رسالته
السيئة: (السنة النبويَّة بين أهل الفقه وأهل الحديث). وقد ردَّ عليه عددٌ من أهل العلم ردوداً كثيرةً.
وطعن في عددٍ من الصحابة والتابعين وعددٍ من أئمة السنة الذين رووا أو تمسكوا ببعض
الأحاديث التي لا تعجبه.

وله رسالةٌ يقرّر فيها الاشتراكيَّة، سمّاها: (الإسلام والمناهج الاشتراكيَّة)، يقول في مقدمتها^(١):
(والإسلام الذي ندعو إليه هو إسلام محمّد بن عبد الله، أعظم مقررٍ للاشتراكيَّة الاجتماعيَّة
والديمقراطيَّة السياسيَّة).

٣- يوسف القرضاويُّ، وهذا الرجل من أبرز منظري الحركة في هذا العصر، وقد سُجِّلت
عليه ملاحظاتٌ شرعيَّةٌ.

منها: رفضه لبعض الأحاديث^(٢) - زاعماً في بعضها معارضتها للقرآن -، وقوله: إن الكفار
إخوانٌ لنا، واعتراضه على مسمّى الجزية، وقوله بجواز مودّة الكفار^(٣)، وترحمه على بابا الفاتيكان^(٤)،
وتجويزه قتال المسلم إخوانه المسلمين في أفغانستان إذا كان في جيش الأمريكان.

(١) (ص ١٢).

(٢) منها: حديث: «لا يقتل مسلمٌ بكافرٍ» [أخرجه البخاريُّ: ح ١١١]، وحديث: «ما رأيت من ناقصات عقلٍ
ودينٍ أذهب للبَّ الرجل الحازم من إحدائكنَّ» [أخرجه البخاريُّ: ح ٣٠٤، ومسلمٌ: ح ٨٠]، وحديث: «لن
يفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأةً» [أخرجه البخاريُّ: ح ٤٤٢٥]، وغيرها من الأحاديث.

(٣) الحلال والحرام (ص ٣٣٠، ط: المكتب الإسلامي).

(٤) كما هو في موقعه على الشبكة.

وهوّن من شأن الخلاف مع الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والجهمية، فقال: (ليست معركتنا مع الذين يؤولون صفات الله تعالى، بل مع الذين يجحدون الله بالكليّة، وأيُّ تحويلٍ للمعركة عن هذا الخطّ يعتبر توهيناً للصفّ، وفراراً من الزحف، وإعانةً للعدو^(١)).

فهل خفي عليه أن العدو لا يتمكّن من المسلمين إلا إذا كانت عقيدتهم في الله مخالفةً للكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف؟ وهل خفي عليه أن الأنبياء كانت معركتهم مع أقوامهم في إفراد الله بالعبادة لا في الإقرار بوجوده؛ إذ كان هذا مقررّاً عندهم؟ قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)، في آياتٍ أخرى بهذا المعنى.

ويلزم من كلام القرضاوي أن نغضّ الطرف عن كفر اليهود والنصارى؛ لأنهم يؤمنون بوجود الله. وهذا لا يقوله عارفٌ بالإسلام.

ومن الملاحظات على القرضاوي: قوله بجواز قيام المرأة المسلمة بالتمثيل^(٣)، وقوله بجواز لمس المرأة الأجنبية، وقوله بالتعددية الحزبية في الدولة الإسلامية، وتحليله الأغاني والموسيقى^(٤)، وتحليله أكل الحيوانات التي ذبحها أهل الكتاب بطريقة الصعق الكهربائي^(٥)، وقوله بجواز دخول السينما، قال: "بل قد تستحبُّ وتطلب" بشرطٍ ذكرها^(٦)... إلخ^(٧).

تعاضم الإخوان في أنفسهم:

ومن غرور جماعة الإخوان: أنهم يرون أنّ فهمهم للإسلام هو الذي يجب الأخذ به.

(١) انظر: وجود الله (ص ٦)، نقلاً عن: جناية التأويل الفاسد (ص ٢٣٧).

(٢) سورة الزخرف (٩).

(٣) مفاصد تمثيل المرأة لا حصر لها، منها: ظهورها متبرجة كاشفة ما لا يحلُّ لها كشفه مما أجمع على تحريمه. ومن المفاصد: اختلاطها بالرجال، والتشبه بهم، وتمثيل وقائع الغرام المحرّم، وغير ذلك من المنكرات.

(٤) الحلال والحرام (ص ٢٩١).

(٥) المرجع السابق (ص ٦١).

(٦) المرجع السابق (ص ٢٩٨).

(٧) يُرجع في توثيق بقية هذه الأقوال إلى الكتب المفردة في الردّ عليه، أو إلى كتبه المنشورة في موقعه.

فمن قرارات المؤتمر الثالث للإخوان:

(خامساً: منهاج الإخوان المسلمين:

١- اعتبار عقيدة الإخوان رمزاً لهذا المنهاج.

٢- على كلِّ مسلمٍ أن يعتقد أن هذا المنهاج كلُّه من الإسلام، وأن كلَّ نقصٍ منه نقصٌ من

الفكرة الإسلامية الصحيحة.

٣- على كلِّ أخٍ مسلمٍ أن يعمل على نشر هذه المبادئ في جميع البيئات، وأن يتحمَّس لها تحمُّساً

تاماً، وأن يطبِّقها في منزله مهما احتمل في سبيل ذلك من المكاره.

٤- كلُّ أخٍ لا يلتزم هذه المبادئ لنائب الدائرة أن يتَّخذ معه العقوبة التي تتناسب مع مخالفته

وتعيده إلى التزام حدود المنهاج. وعلى حضرات النوَّاب أن يهتمُّوا بذلك؛ فإن الغاية هي تربية

الإخوان قبل كلِّ شيء^(١).

قال حسن البنا: (وقد كان مما وضع المكتب للإخوان أن لخصَّ لهم قواعد الفكرة الإسلامية

اعتقاداً وعملاً في عدَّة سطور، وأطلق عليها لفظ "عقيدتنا")^(٢).

وفي آخر فقرة من تلك العقيدة: (أعتقد أن السرَّ في تأخير^(٣) المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن

أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه، وأن ذلك ممكنٌ لو عمل له المسلمون، وأن

فكرة الإخوان المسلمين تحقِّق هذه الغاية، وأتعهد بالثبات على مبادئها والإخلاص لكلِّ مَنْ عمل

لها، وأن أظلَّ جندياً في خدمتها أو أموت في سبيلها).

ومما يؤسِّف أن المرشد أورد تزكية قسِّيسٍ فرنسيٍّ لهذه العقيدة، وشرح كلمات القسِّيس وشكره

في نحو خمس صفحاتٍ من مذكِّراته^(٤).

وقال في الخطاب الذي ألقاه في المؤتمر الدوريِّ الخامس: (على أن التجارب في الماضي والحاضر

(١) مذكِّرات الدعوة والداعية (ص ١٨٩).

(٢) المرجع السابق (ص ١٦٩).

(٣) كذا.

(٤) المرجع السابق (ص ١٧٠-١٧٤).

قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم، ولا إنتاج إلا في خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون^(١).

ومن التعالي الشنيع ما قاله حسن البنا في كلمة ألقاها في حفل ختامي لطلاب «الإخوان المسلمون»: (إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية، وإنكم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم... وإذ كنتم كذلك فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي هي أحداً، وتستغني عن غيرها؛ إذ هي جماع كل خير، وما عداها لا يسلم من النقص)^(٢).

وقال أيضاً: (وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار، أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحباً به، وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامةً محيطَةٌ لا تغادر جزءاً صالحاً من آية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه)^(٣).

ومن التناقض عنده: أنه في الوقت الذي يلزم الناس فيه بفهمه للإسلام ينادي بنبذ الحزبية، وذلك في خطاب وجهه إلى زعماء العالم الإسلامي؛ فقد قال في أول بند من بنود الناحية السياسية والقضائية: (القضاء على الحزبية، وتوجيه قوى الأمة السياسية في وجهة واحدة وصف واحد)^(٤).

وذكر أثناء بيانه لموقف «الإخوان المسلمون» من وزارة علي ماهر باشا: (أن الإخوان المسلمين ليسوا حزباً من الأحزاب يؤيد أو يعارض تبعاً لمصلحة حزبية أو جرياً وراء منفعة شخصية، ولكن الإخوان المسلمون دعوة إسلامية محمدية اتخذت من الله غايتها، ومن الرسول صلوات الله عليه وسلامه قدوتها، ومن القرآن دستورها)^(٥).

وقد بين يوسف القرضاوي أنه يختلف مع إمامه حسن البنا في منعه من تعدد الأحزاب، وأنه يرى التعددية الحزبية أصلح للأمة، وقد اتخذ مكتب الإرشاد العام للحركة مثل رأي يوسف القرضاوي، كما ذكره هو في رسالته: التربية السياسية عند حسن البنا.

(١) مجموعة رسائل حسن البنا (ص ٢٥٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٢٨).

(٣) مجموعة رسائل حسن البنا (ص ١٠٢).

(٤) المرجع السابق (ص ٢٢٠).

(٥) المرجع السابق (ص ٢٥٧).

ويمثّل جماعة «الإخوان المسلمون» في الصومال جماعتان:

الأولى: التجمُّع الإسلاميّ (آل الشيخ).

وهي تمثّل الإخوان الإقليميّين غير الدوليين، وهم معروفون لدى الصوماليّين بـ (آل الشيخ)؛ لأنهم من أتباع الشيخ محمّد معلّم حسن الذي اشتهر بتدريس التفسير على منهج متأخري الأشاعرة ممزوجاً بأفكار سيّد قطب في (الظلال).

وكانت هذه الحركة قد تأسّست عام (١٩٨٣م) إثر الاندماج الذي تمّ بين (وحدة الشباب الإسلامي) و(الجماعة الإسلاميّة) وظهور حركة الاتّحاد الإسلاميّ بعدما انسحبت مجموعةٌ من أعضاء الجماعة الإسلاميّة وآثرت التمسُّك بالمنهج الإخوانيّ على طريقة شيخهم الروحيّ الشيخ محمّد معلّم حسن بحجّة أنّ الجماعة الإسلاميّة تحوّلت إلى المنهج الوهابيّ، وكان من الذين انفصلوا: علي عثمان نور المشهور بـ (علي جرافاتي)، وعلي أحمد حلني، وسيّد أبّا علي، ومحمّد عبد القادر ورسمه، ومحمّد شيخ علي عسبلي.

ولم يكن يوسف علي عيني من الجماعة الإسلاميّة، وإنما استقال من جماعة الإصلاح ذلك الوقت، ثم صار قيادياً في هذه المجموعة المنفصلة.

وكان لهم نشاطٌ ملموسٌ أثناء تكوين المحاكم الإسلاميّة في الصومال.

ولوّحظ على كثيرٍ من شبابهم أنهم لا يختلفون كثيراً في الفكر والسلوك عن أعضاء حركة الشباب. ومردّد ذلك إلى التربية الحزبيّة التي تهدف إلى الوصول إلى الحكم، مع تأوّل أن زعماء الحرب في العاصمة يخطفون العلماء ويسلمونهم للكفار، فاجتمعت شبهةٌ وشهوةٌ.

ورئيس الحركة الحالي هو: يوسف تُورُحَمي جمعالي.

وقد قال الشيخ محمّد معلّم حسن الذي هو قدوتهم: (أرى أن لا يُصلّى وراء هؤلاء الذين حدّدوا الله في جهة العلوّ)، مع أن إثبات العلوّ لله عز وجل مسألةٌ إجماعيّةٌ عند الصحابة والتابعين، بل الرسالة الإسلاميّة مبنيةٌ على الوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام من السماء.

وقال شيخهم عن الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله: (إنها ليست بشركٍ أكبر مخرجٍ من

الملة، بل هي مستكرهةٌ مستقبحةٌ^(١)، وأجاز الاحتفال بالمولد النبويّ.

وقد ذهب وفدٌ من كبار الحركة إلى إيران منذ سنواتٍ عدّةٍ، وحصلوا منها على عددٍ من المنح الدراسية ووزّعوها على الشباب في الصومال، ولا نأمن أن يتشيع عددٌ ممن يتلقون العلوم هناك، فإذا عادوا بثوا البدع والفرقة بين الصوماليين، ولم نكن نعرف شيعياً واحداً في البلد قبل هذا التحرك الذي عمله هؤلاء.

(١) وهو بمعنى ما قاله حسن البنا. راجع ما سبق في: موقف الإخوان من التوحيد.

الثانية: حركة الإصلاح.

وهي تمثل الإخوان الدوليين، وهمهم المنافسة في الحصول على كرسي السلطة، وإخضاع النصوص الشرعية لهذا الغرض، والتهالك على إرضاء الغرب بمقولات من قبيل تحرير المرأة. وقد تعرّضوا في ندوة لهم لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ قال أحدهم معلقاً على زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة رضي الله عنها: (إنَّ الرسول كان أحسن منِّي ذوقاً، لكنَّ ذوقي لا يطاوعني على أن أتزوَّج صغيرةً عمرها تسع سنوات). وأنكر أحد كبارهم كون شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد، فقال: (هذا لا يُعمَل به في هذا العصر، عصر الكمبيوتر).

وهم يناصرون الصوفيَّة والأشعرية، ويرون أنَّ أهل السنَّة هم الأشعرية والماتريدية، كما قال (أحمد قطبي) الذي يُعدُّ من مشايخهم الكبار. وقالوا عن السلفيين في الصومال: (إنهم يتابعون علماء السعودية الذين أمرتهم حكومتهم بفصل الدين عن السياسة)، قالوا هذا الكلام في محاضرة مشهودة، ونُشر مُلخَّص ذلك في إحدى الجرائد المحليَّة.

ويملكون جامعة مقديشو التي يرأسها الدكتور: علي الشيخ أحمد أبو بكر. وهذا الدكتور هو الذي كتب رسالة مجَّد فيها عدداً من أهل التصوف القبوريين، وجعلهم من الدعاة إلى الله، أمثال عبد الله بن يوسف القطبي. ومع كلِّ ما ذكرنا فلا ينقضي العجب مما قاله مؤسسها محمد أحمد (جزيري) من أنَّ الإخوان فهموا الإسلام وطبقوه كما أنزل.

وقد عُرف عن هذا الحزب كبقية (الإخوان المسلمون) أنهم لا يجذُّون من ضلالات المتصوِّفة وبدعهم وشركياتهم، بل يثنون عليهم وينوِّهون بشأنهم. وقد وقع بين الحزب انقسامات؛ فمنذ عام (٢٠٠٧م) انشقت عنهم مجموعات كبيرة كَوَّنت ما سُمِّي بـ (الدم الجديد)، وكان لهم دور بارز في حركة اتِّحاد المحاكم الإسلامية، ويُقال: إنَّ لهم

نفوذاً واسعاً في الحكومة الحالية التي تأسست عام (٢٠١٢م)، التي يقودها الرئيس حسن شيخ محمود.

ثم حدث انشقاقٌ جديدٌ في شهر أغسطس عام (٢٠١٢م) في الجناح التقليديّ - الذي بقي فيه معظم شيوخ الحركة - بعد ترشّح عبد الرحمن (باديو) للرئاسة الصوماليّة، مما نتج عنه إصدار مؤسس الحركة ورئيسها الأسبق الشيخ محمّد أحمد نور (جريري) ومجموعةٍ من قيادات الحركة بياناً يتّهمون فيه رئيس الحركة - الدكتور: علي باشي - واثنين من مساعديه - وهما: الدكتور علي الشيخ أحمد أبو بكر رئيس جامعة مقديشو، ومسؤول الإقليم الجنوبيّ لدى الحركة - ب (استغلال السلطات، والفساد الماليّ، والعمالة لجهاتٍ أجنبيّة تعادي الإسلام)، وقد أعلن البيان عزل هذه القيادات وتجميد عضويتهم في الحركة^(١).

(١) من مقالٍ لـ (محمّد أحمد عبدالله، الجزيرة نت، ٢٩ أغسطس ٢٠١٢م).

ثالثاً: حركة الشباب المجاهدين

تكوّنت النواة الأولى لحركة الشباب المجاهدين في رحم حركة (الاتّحاد الإسلاميّ) مما ورثته من حركة الإخوان المسلمين، وذلك من بعض القيادات التي تدرّبت في أفغانستان، أو في الجيش الصوماليّ، فقاموا بتدريب الشباب المتحمّس لما يسمّونه بالجهاد في معسكراتٍ أعدّوها لذلك في (مقديشو، وكساميو، ومركه، وبرعو، وبورما، وبوصاصو).

ونتج عن ذلك خوض حروبٍ كثيرةٍ ضدّ القبائل المسلمة في الصومال، ولم يكن النصر حليفهم.

فلما رأت قيادة جماعة الاتّحاد أن هذا الطريق مسدودٌ وأنهم لا طاقة لهم بمواجهة القبائل الصوماليّة وجّهوا قاعدتهم إلى وضع السلاح، فلم يرُق هذا القرارُ لبعض الشباب كجماعة (رأس كمبوني) بقيادة (حسن تركي) وغيرهم، وقد كان (حسن تركي) ممن بايع ابن لادن في السودان، فصاروا يخطّطون لاستمرار ما يظنّونه جهاداً، وكانوا يُخفون أنفسهم.

ثمّ انفصلوا عن جماعة الاعتصام وتسمّوا بـ (حركة الشباب المجاهدين) عام (٢٠٠٣م) بقيادة إسماعيل عرالي، ثمّ خلفه في الزعامة أحمد عبدي أو محمد (غودني).

ولما تكوّن (اتّحاد المحاكم الإسلاميّة) كانوا هم العمود الفقريّ له.

وقد انضمت حركة الشباب سنة (٢٠١٢م) إلى تنظيم القاعدة، ولم تكن بعيدة عنهم من قبل. وينطلقون من منطلقات الغلوّ في التكفير، فالحكّام المسلمون عندهم كفّارٌ بلا استثناء، وولايتهم ساقطة منذ عصور، حسبما قال أسامة بن لادن في تصريح لقناة الجزيرة. ويعتقد أنه يجب قتال الأمريكان أوّلاً ليتمّ تحرير البلاد الإسلاميّة من قبضة الحكّام المرتدّين في زعمه.

وإذ لم تكن لديهم القدرة الكافية لمقاتلة الأمريكان اتّجهت فتنتهم إلى البلاد المسلمة، فقتلوا وفجّروا واغتالوا مخالفيهم أمام المساجد وداخلها.

وتسبّبوا في تدخّل الدول الكافرة في البلدان الإسلاميّة بحجّة التخلّص من الإرهاب الذي لا حدود له.

ومن أراد الوقوف على منهج قادة الحركة فليرجع إلى إصداراتهم المكتوبة والمسموعة.

لكن لا ننصح بالنظر فيها، كما قال العلامة ابن قيم الجوزية^(١):

يا مَنْ يظنُّ بأننا حِفْنَا عليهِمْ كُتِبَ عَنْكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
فَانظُرْ تَرَى لَكِن نَرَى لَكَ تَرَكْهَا
فَشِبَاكُهَا وَاللَّهِ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا
إِلَّا رَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي قَفْصِ الرَّدَى
وَيَظَلُّ يَحْبُطُ طَالِبًا لِلْخَلَاصِ
وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ خَلَّى أَطْيَبَ الثَّنَى
وَأَتَى إِلَى تَلِكِ الْمَزَابِلِ يَبْتَغِي الْوَاثِقَ
يَا قَوْمِ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةٌ
مَنْ مَشَفَقَ وَأَخٍ لَكُمْ مَعْوَانٌ

وقد أوضح زعيمهم أحمد عبدي أو محمد (غودني) ما يعتقدونه في محاضرة له عُقدت في أحد مراكز حركة الاعتصام في العاصمة مقديشو عام (١٩٩٩م)، وقد احتفى بها شيخهم (حسن طاهر أويس)، وسبب ذلك: أن المقصود بها كان الرد على السلفيين، فقد سمى محاضرتَه: (حزب مكافحة الأحزاب).

والآن يحدد المجتمع ما زرعتُه التربية الحزبية بتسويغها التحزب؛ فقد استفاد الرجل من هذا المناخ وأسّس جماعته، وانطلق بها لتنفيذ مآربه.

وزعماء القاعدة يطعنون ليل نهار في علماء السنّة، ويصمونهم بأنهم أحبارٌ ورهبانٌ أفسدوا الدين، ويدعون الناس إلى (كسر صنميّة علماء الحكومات)، كما هو نصُّ عبارتهم التي يخطمون بها نشراتهم في الشبكة العنكبوتية، ويدخل في هؤلاء العلماء دخولاً أولاً المشايخ: ابن باز، وابن عثيمين، والفوزان^(٢).

ولا تظنّ أنهم يستنون الشيخ الألباني من الطعن والتجريح لكونه لا علاقة له بالحكومات، فهو أكبر مرجعٍ عندهم، ويشاركونهم في ذلك الطعن جُلُّ الجماعات القطيبيّة.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص ١٢٩، ط: عالم الفوائد).

(٢) وأسأل إن شئت عن الخطابات التي وجّهها أسامة بن لادن إلى الشيخ ابن باز.

وهنا نقدم للقارئ فتوى نرى أنها تضيء جوانب مما نحن فيه، حررها الشيخ الدكتور: عثمان بن معلم محمود، لما سأل أحد الإخوة: هل يجوز لي أن أعين (الشباب) على ما يقومون به وإن كان منهجي سلفياً؟ فكان الجواب:

(حركة الشباب هي جماعة ترى أن تستأثر بشؤون الأمة ولا سيما نظام الحكم في المجتمع الذي كان من المقرّر بل من الواجب أن يكون مبنياً على الشورى وعلى أن يتمّ تقريره من قبل أهل الحلّ والعقد في الأمة).

وقد نصبوا لأنفسهم أميراً تسمى بأبي الزبير، واسمه الحقيقي: أحمد عبيدي أو محمد (غودني). ومعلوم أنّ تفريق الأمة إلى أحزابٍ وجماعاتٍ متنازعةٍ على السلطة لا يجوز شرعاً لمنع النصوص الشرعية من التفرّق إلى أحزابٍ وشيعٍ، ويجسّن مراجعة رسالة (التحذير من التفرّق والحزبية). ومن المفارقات العجيبة أنّ سعي حركة الشباب إلى الوصول إلى دفّة الحكم ألجأهم إلى تكفير الأحزاب الأخرى المنافسة لها في الساحة، وأقرب مثالٍ على ذلك تكفيرهم (شريف شيخ أحمد) الرئيس السابق للصومال؛ بحجّة أنه والى الكفّار، وهذا قبل أن يبدأ حكمه. إنّ التسرّع في تكفير المسلمين دون برهانٍ قاطعٍ لأمرٍ يندى له الجبين، وخطورته مؤكّدةٌ وعاقبته وخيمةٌ، وفيه مخاطرةٌ بدين صاحبه.

ونحن نعلم أن أمر حركة الشباب مبنيٌّ على العواطف الجياشة، ويكثر استنادهم إلى أخبار المجاهيل ومعلوماتٍ مستقاةٍ من مصادر مشبوهةٍ تجمع الغثّ والهزيل كالإعلاميين وأخبار وكالات أنباء الدول الكافرة وتقارير مراكز الدراسات الغربية، ويستدلّون بكلامهم كأنه نصٌّ محكمٌ، وقد يعارضون به النصوص الشرعية.

وأكثر نشراتهم أشرطة فيديو مسجّلةٌ تحكي وقائع وصوراً فظيعةً فيها ألوانٌ من تعذيب الكفّار لبعض المسلمين، وقد تكون مزيفةً مركّبةً أحياناً.

ويقتدي أفراد حركة الشباب بمشايخ سوءٍ يقرّرون لهم أفكار الخوارج، منهم:

- أبو قتادة الفلسطيني، الذي اشتهر بفتواه الفاجرة في قتل الأطفال في الجزائر، وهو من أشهر من أشعل نار الفتنة في الجزائر، وهو يعيش في لندن.

- ومن شيوخهم المعظمين: أبو محمد المقدسي (عصام البرقاوي) الذي كان من قبل من أتباع محمد سرور زين العابدين لما كان في الكويت، ثم طرد من الجماعة لما تفاقم غلوّه في التكفير واستباحة الدماء.

ثم التحق ببقايا جماعة جهيمان العتيبي في الكويت، ثم طرده أيضاً بسبب تسرّعه في التكفير^(١). وهو صاحب كتاب (الكواشف الجليلة في تكفير الدولة السعودية) وبناه على شبهات واهية، منها: انضمامها إلى الأمم المتحدة^(٢).

وقد ردّ عليه الشيخ عبد العزيز بن ريس الرئيس في كتابه (تبديد كواشف العنيد). ولأبي محمد المقدسي رسالة أخرى أسماها (ملة إبراهيم) سُداها وحثها تسويغ تكفير المسلمين بحجة مخالفتهم لملة إبراهيم حسب فهمه، مع مدح أهل الأهواء كجهيمان العتيبي وأتباعه الذين ألدوا في حرم الله وروّعوا الأمنين.

ومن ناقش كتابي أبي محمد المقدسي - أنفي الذكر - الشيخ الدكتور: محمد بن عمر بازمول في كتابه (الرد على كتب مشبوهة).

ويعظم أفراد حركة الشباب أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، ويظهرون لهما ولاءً مفرطاً، بل ويمتحنون الناس بهما، وينصبون العدا لمن لم يوافقهم على تبجيلهما وانتحال آرائهما الكاسدة، فيعقدون الولاء والبراء على ما لم يعقده الله عليه ورسوله.

(١) انظر: تبديد كواشف العنيد (ص ٣٥-٣٧).

(٢) سئل العلامة محمد بن صالح العثيمين: بعض الناس يقول: إن الانضمام إلى الأمم المتحدة تحاكم أيضاً إلى غير الله سبحانه وتعالى، فهل هذا صحيح؟

فأجاب: (هذا ليس بصحيح، فكلُّ يحكم في بلده بما يقتضيه النظام عنده، فأهل الإسلام يحتكمون إلى كتاب الله والسنة، وغيرهم إلى قوانينهم، ولا تجبر الأمم المتحدة أحداً أن يحكم بغير ما يحكم به في بلاده، وليس الانضمام إليها إلا من باب المعاهدات التي تقع بين المسلمين والكفار) مجلّة الدعوة (العدد ١٦٠٨، ١٠/ جمادى الأولى/ ١٤١٨هـ، ١١/ سبتمبر/ ١٩٩٧م). نقلاً عن: تبديد كواشف العنيد (ص ١٢٤-١٢٥).

وتزعم حركة الشباب أن قتال الأمريكان والدول الغربية فرض عينٍ على كلِّ مسلمٍ، دون نظيرٍ إلى تحقُّق الاستطاعة الشرعيَّة.

ويرون جواز التفجيرات في الأماكن العامَّة التي يكثر فيها المسلمون إذا كان معهم فردٌ أو أفرادٌ من المعاهدين أو المستأمنين، بل يحدث كثيراً استهدافهم بالتفجير فنادق وحفلاتٍ ومؤتمراتٍ ليس فيها أحدٌ من الكفار الأصليين، وإنما فيها رئيس حكومةٍ أو وزيرٌ أو نائبٌ في الحكومة التي يحكمون عليها بالردَّة.

وعُرف من عاداتهم اغتيال مشايخ العلم والوجهاء وأمراء الأجناد، بعد تكفيرهم، وكذلك اغتيال من حكموا عليه بالتجسس لصالح بعض الدول العالميَّة والإقليميَّة، وهذا كان أكثر عملهم قبل غزو إثيوبيا للصومال وبعده.

ولو فرض صحَّة ما يقولون من ارتداد بعض الناس فمن يقيم عليهم حدَّ الردَّة؟ هذا لا يكون إلا للدولة ومن ينوب عنها.

قال أبو منصور البغداديُّ: (لأننا وإن أوجبنا قتلهم بعد امتناعهم من التوبة فإننا نوجب ذلك على السلطان، وليس للرعيَّة إقامة الحدِّ على المرتد^(١)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: (وليس لأحدٍ أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه؛ مثل أن يقوم واحدٌ من الناس يريد أن يقطع يد السارق ويجلد الشارب ويقيم الحدود؛ لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد؛ لأن كلَّ واحدٍ يضرب غيره ويدعي أنه استحقَّ ذلك. فهذا مما ينبغي أن يقتصر فيه على وليِّ الأمر المطاع كالسلطان ونوابه)^(٢).

وفي الختام فإن البرنامج العالمي الذي تنصوي تحت لوائه حركة الشباب لا يحمل للمسلمين خيراً؛ فإن التفجيرات التي وقعت في أمريكا في (١١ / سبتمبر / ٢٠٠١م) لم تزد المسلمين إلا تباراً، فقد ضيقت عليهم المعيشة وخنقت أنفاسهم وتشوَّهت سمعة المسلمين، فصار المسلم متَّهماً حتى

(١) أصول الدين (ص ٣٤٠).

(٢) مختصر الفتاوى المصرية (ص ٥٨٠).

تثبت براءته.

ثم إنهم بهذا الغدر والتفجيرات والاعتقالات أصبحوا عقبة حقيقية أمام الجهاد الحق؛ لأن من يقتنع بفكرهم ليس وارداً عنده الحاجة إلى الاستعداد المادي والروحي وأن يكون الجهاد مشروع أمة ودولة، وإنما غاية الجهاد عنده مجرد قتل الغير أو التعرض للقتل لنيل الشهادة، ويكفيه في ذلك قنص شخص غافل غيلة، أو زرع قنبلة، أو تفجير انتحاري، فإذا هو قد حاز الجهاد من جميع أبوابه. فبذلك حرّفوا الجهاد لإعلاء كلمة الله الذي كان المسلمون يعرفونه، واستبدلوا به هذا المسخ المشوه الذي لا ديناً رفع ولا دنياً أبقى.

ومن حقنا أن نتساءل: من كان السبب في زوال دولة أفغانستان؟ ألم يكن السبب من كان في حمايتها ثم أعلن الجهاد على أمريكا؟

جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده كان جهاداً ظاهر البركة؛ إذ كان سبباً في دخول أمم كثيرة في الإسلام، وتقليل شر بقية أمم الكفر، وكانت تراعى فيه آداب الجهاد، وكان الكافر يعرف لماذا يُقاتل، فيقال له: أسلم، فإن أبي طولب بالجزية، فإن أبي قوتل، وكان الجهاد تحت راية دول معروفة ظاهرة، لا يُعتدى فيه على الشيوخ والنساء والأطفال و مندوبي الدول والملوك. لم يكن المسلمون يعرفون قتالاً قادته مصرّون على التخفي تحت السرايب أشد التخفي. وكان أقوى سلاح استخدمته جماعة القاعدة في هذا العصر طائرات مدنيّة اختطفوها ثم ضربوا بها برجى مركز التجارة العالمي في نيويورك بأمريكا.

فإن لم يكن عندهم السلاح الذي يصل إلى تلك الدولة فهل الشرع يميز لهم أن يغدروا بالبلد الذي منحهم تأشيرة دخول، ولم يكن يتوقع منهم لا قتالاً ولا تفجيراً؟ كلا، فالغدر في شريعتنا من كبائر الذنوب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾^(١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الغادر يُنصب له

(١) سورة الأنفال (٥٨).

لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان^(١)، وفي حديث بريدة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا))^(٢)، وعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - في حديث طويل - أن المغيرة بن شعبة كان صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أما الإسلام فقد قبلنا، وأما المال فإنه مال غدري، لا حاجة لنا فيه))^(٣). قال الحافظ ابن حجر: (ويستفاد منه: أنه لا يحلُّ أخذ أموال الكفار في حال الأمن غدراً؛ لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة، والأمانة تؤدَّى إلى أهلها مسلماً كان أو كافراً، وأنَّ أموال الكفار إنما تحلُّ بالمحاربة والمغالبة)^(٤).

وقال العيني: (وأموال الكفار وإن كانت مغنومة عند القهر، فلا يحلُّ أخذها عند الأمن، فإذا كان الإنسان مصاحباً لهم فقد أمن كلُّ واحدٍ منهم صاحبه، فسفكُ الدماء وأخذُ الأموال عند ذلك غدراً، والغدر بالكفار وغيرهم محظور)^(٥).

وقال الشيخ عبد المحسن العباد: (تواطأ العالم في هذا الزمان على أن كلَّ بلدٍ يدخله من ليس من أهله بإذنٍ من دولة ذلك البلد، أُطلق على ذلك الإذن اسم (تأشيرة دخول)، ومن دخل أيَّ بلدٍ بهذا الإذن يكون له الأمان على نفسه وماله، ولا يحصل له خلاف ذلك إلا باعتداءٍ عليه بغير حق)^(٦).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، باب ما يُدعى الناس بأبائهم، ٤١/٨، ح ٦١٧٧-٦١٧٨)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، ١٤١/٥، ح ١٧٣٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ١٣٩/٥، ح ١٧٣١)، من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب...، ١٩٤/٣، ح ٢٧٣١-٢٧٣٢)، وأبو داود - واللفظ له - (كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، ١٤٢/٣، ح ٢٧٦٥).

(٤) فتح الباري (٣٤١/٥).

(٥) عمدة القاري (٦٤١/٩).

(٦) بذل النصح والتذكير لبقايا المفتونين بالتكفير والتفجير (كتب ورسائل عبد المحسن بن حمد العباد ٦/٢٥٥-٢٥٦).

وخلاصة جوابي أنني أنصحك بأن لا تعين حركة الشباب إن كنت مهتماً بآخرتك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

الخاتمة

نرجو من كلِّ مَنْ تكلمنا عليه في هذه النبذة أن يتوب إلى الله من ضلاله وأخطائه؛ فإن (الرجوع إلى الحقَّ خيرٌ من التماذي في الباطل)^(٢).

وقد ذكر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ردَّ الحقِّ وعدم قبوله هو أحد شقِّي رذيلة الكبر، فقال: ((الكبر بطر الحق وغمط الناس))^(٣).

وليعلموا أن أيَّ تلبسٍ يحصل للمسلمين في أمر دينهم بأفعالهم ومواقفهم وأقوالهم سيكونون مسؤولين عنه أمام الله، وفي التنبيه على أخطائهم تقليلٌ لأوزارهم.

قال أبو صالح الفراء: حكيت ليوסף بن أسباط عن وكيعٍ شيئاً من أمر الفتن، فقال: ذاك يشبه أستاذه - يعني الحسن بن حيٍّ -، فقلت ليوסף: أما تخاف أن تكون هذه غيبةً؟ فقال: (لِمَ يا أحمق؟ أنا خيرٌ لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا ففتبعتهم أوزارهم، ومَنْ أطراهم، كان أضرَّ عليهم)^(٤).

وأذكياء الحزبيين كانوا يقولون: الحزبية التي نحن واقعون فيها مختلفٌ فيها بين أهل العلم. فكان عندهم احتمال أنهم على خطأ.

هكذا ظنوا أن المسألة خلافيَّة، مع أننا لا نعلم عالماً سلفياً يميز إنشاء جماعة حزبيَّة إذا شرحت له على حقيقتها. أما إذا اتسع لفظ العلماء فشمل الحركات الحزبيَّة فعند ذلك حدث ولا حرج عن كثرة الفتاوى التي توجب الحزبيَّة، ولن تقتصر على الجواز أو الاستحباب.

(١) كانت الفتوى باللغة الصومالية، ثم تُرجمت وعُرضت على الشيخ فأجرى عليها تعديلاتٍ وزياداتٍ يسيرةً.

(٢) رُوي هذا عن عمر في كتابه إلى أبي موسى رضي الله عنهما. أخرجه الدارقطني (٣٦٧/٥-٣٧٠)، والبيهقي (١٠/١١٩ و ١٥٠)، وغيرهما. وانظر: إعلام الموقعين (١/٨٥-٨٦)، مسند الفاروق لابن كثير (٢/٥٤٦).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، ١/٦٥، ح ٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/٣٦٤).

وكنا نرجو أن تقرّبهم من الحقّ التحذيراتُ السلفيّة، وأن يتقلّص ظلُّ الباطل، فجاءت محاولة بعض الشباب لطمأنتهم وإزالة خوفهم، فكان ذلك (ضِعْثًا على إِبَالَةٍ)^(١).

وكان حالهم كما صوّره العلامة ابن قيّم الجوزيّة في قصيدته النونيّة^(٢):

كانوا على وَجَلٍ من العصيان؛ إذ هو فعلهم والذنب للإنسان
واللوم لا يعدوه؛ إذ هو فاعلٌ بإرادةٍ وبقدره الحيوان
فأراحهم جهمٌ وشيعته من الـ لوم العنيف وما قضاوا بأمان
وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

(١) الإِبَالَة: الحُرْمَة من الخطب، والضُّعْثُ: قبضةٌ من حشيشٍ مختلطة الرطب باليابس. وهو مَثَلٌ، معناه: بليّةٌ على

أخرى. انظر: مجمع الأمثال (١/٤١٩).

(٢) الكافية الشافية (ص ٢٦).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة، فيها أن الردَّ على المخالف من أصول الإسلام، وذكرُ شواهد ذلك.....	٢
إجمال الجماعات التي تناولتها هذه الرسالة.....	٧
أولاً: جماعة الاعتصام.....	٨
المراحل التي مرَّت بها جماعة (الاعتصام).....	٨
المرحلة الأولى: جماعة (الأهل) التي تطوّرت إلى التكفير الغالي.....	٨
المرحلة الثانية: (الجماعة الإسلاميّة).....	٨
المرحلة الثالثة: تأسيس (الاتّحاد الإسلاميّ)، وشيءٌ مما انتُقد عليه.....	٩
المواقف المضطربة للجماعة من قتال الفتن الذي دارت رحاه في الصومال.....	١٠
انقسام (الاتّحاد الإسلاميّ) إلى ثلاثة أقسام، وسيطرة الاتجاه الدموي على الجماعة.....	١٠
مآسي النساء اللائي كنَّ في المعسكرات بعد إغلاقها.....	١١
انسحاب المقتنعين بالمنهج السلفي عن جماعة الاتحاد عام (١٤١٤هـ).....	١١
محاولة ثانية للترايبّي في توحيد الحركات الصومالية عام (١٩٩٢م).....	١١
المرحلة الرابعة: اندماج منشقين عن جماعة الاتحاد مع جماعة وحدة الشباب الإسلاميّ مكوّنين ما عُرف بـ (التجمُّع الإسلاميّ للإنقاذ).....	١١
المرحلة الخامسة: إنشاء جماعة (الاعتصام)، وشيءٌ من المبادئ التي قامت عليها.....	١١
الحروب الأربعة التي طبّق فيها الاتحاديون نظريّتهم الجهاديّة.....	١٢
إصدار جماعة الاعتصام بياناً ادَّعوا فيه التخلّي عن قتال الفتن والخروج على الحكّام المسلمين.....	١٣
المؤاخذات التي عليهم في هذه المرحلة ومناقشة دعوى الرجوع عن الأخطاء.....	١٣
الأموال الدالّة على بقائهم على ما كانوا عليه.....	١٦
شروط التوبة الصحيحة.....	١٧

- ٢١..... طَعْنُ أول زعيمٍ لجماعة الاتحاد في الدعوة السلفية وما أسماه بالوهابية
- ٢٢..... التعليق على تسمية السلفيين ب: السلفية الجديدة
- ٢٦..... ثانياً: جماعة «الإخوان المسلمون»
- ٢٦..... موقف «الإخوان المسلمون» من التوحيد
- ٢٧..... ذُكر العقائد الخَلَفِيَّة عند مؤسس دعوتهم ومناقشة ذلك
- ٢٩..... قول أهل التفويض من شر أقوال أهل البدع والإلحاد كما قاله العلامة ابن تيمية
- دعوى مؤسسهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر حفلات المولد وأنه يسمح
المذنبين.....
- ٣٠.....
- ٣٣..... موقف «الإخوان المسلمون» من الولاء والبراء
- ٣٥..... مؤسس «الإخوان المسلمون» من الدعاة إلى التقارب مع الشيعة الرافضة
- ٣٦..... اعتراف القرضاوي بأنه كان قصير النظر في دعوته إلى التقارب بين السنة والشيعة
- ٣٦..... موقف «الإخوان المسلمون» من العنف
- موقف «الإخوان المسلمون» من تويُّ النصارى للمناصب في الدول
الإسلامية.....
- ٣٨.....
- ٤١..... نماذج ممن أنتجتهم دعوة الإخوان المسلمين
- تعاظم الإخوان في أنفسهم ودعواهم أن منهجهم كله من الإسلام وأن أيَّ نقص منه فهو نقص
من الفكرة الإسلامية الصحيحة.....
- ٤٥.....
- ٤٨..... التجمُّع الإسلامي (آل الشيخ)، وشيءٌ من مبادئه والمآخذ عليه
- ٤٨..... إنكار شيخهم صفة العلوِّ لله ومنعه من الصلاة خلف مَنْ يقرُّ بها
- ٤٨..... الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ليست بشركٍ عند شيخهم
- ٤٩..... زيارة وفدٍ من كبار الجماعة لإيران الرافضية وجلب منحٍ دراسية منها
- ٤٩..... حركة الإصلاح، وبيان شيءٍ من طوائفهم
- ٤٩..... تعرُّض أحد قادتهم لجناب الرسول صلى الله عليه وسلم في ندوة عقدها بمقديشو

- ٤٩..... قولهم: إن أهل السنة هم الأشعرية والماتريدية.....
- ٥١..... ثالثاً: حركة الشباب المجاهدين، بداياتها، وكيف تأسست.....
- ٥١..... انضمامهم لتنظيم القاعدة عام ٢٠١٢م.....
- ٥١..... تكفيرهم للحكّام المسلمين.....
- ٥١..... تسببهم في جلب القوات الكافرة إلى الدول الإسلامية.....
- ٥٣..... تكفيرهم للأحزاب الأخرى المنافسة لها في الحكم.....
- ٥٣..... اعتمادهم على أخبار المجاهيل وتقارير مراكز الدراسات الغربية.....
- ٥٣..... ذكّر بعض شيوخهم ومعظميهم.....
- ٥٤..... غلوهم في أسامة بن لادن وأيمن الظواهري.....
- ٥٥..... يرون جهاد الأمريكان والدول التي يكفرونها فرض عين.....
- ٥٥..... يرون جواز التفجيرات في الأماكن العامة.....
- ٥٥..... اشتهاهم باغتيال مشايخ العلم والوجهاء وأمراء الأجناد.....
- ٥٥..... ماذا استفاد المسلمون من تفجيرات (١١) سبتمبر.....
- ٥٥..... مَنْ يَحُقُّ له تنفيذ حدِّ الرِّدَّة على الشخص إن ثبتت.....
- ٥٦..... أصبحوا عقبة حقيقية في طريق الجهاد الصحيح الذي عرفه المسلمون قديماً.....
- ٥٦..... ذكّر مزايا الجهاد الصحيح واختلافه عما يمارسه هؤلاء الشباب.....
- ٥٦..... تحريم الغدر في الإسلام، وذكر الأدلّة على ذلك.....
- خاتمة، فيها الحث على التوبة من الانحرافات المنهجية، وبيان أنه لا يوجد عالم سلفي يثني على هذه الأحزاب إذا شرحت له على حقيقتها دون تدليس.....
- ٥٨.....
- ٦٠..... فهرس الموضوعات.....